حِكَمُ النَّبِيِّ

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف الروائى الروسى العالمى

ليو تولستوى

ترجمة

سليم قبعين

شرح وتحقيق

محمود محمد نصار





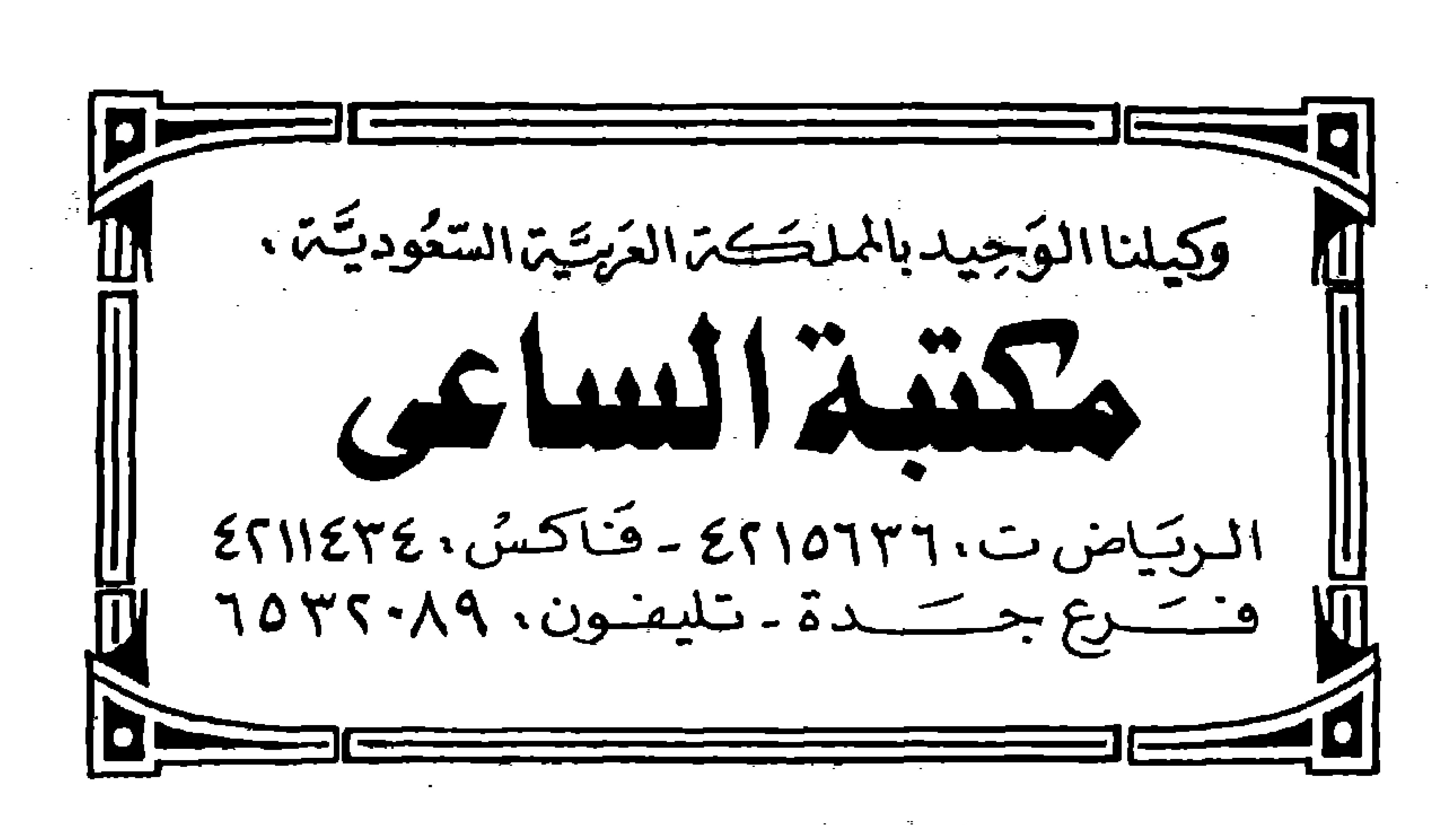
تأليف الروائي الروسي العالمي

ليو تولستوي

ترجمة
سليم قبعين

شرح وتحقيق
محمود محمد نصار

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٢ / ٢٤٨٠٤٨٣


وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية :
مكتبة الساعى
الرياض ت، ٤٢١٥٦٣٦ - فاكس، ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة - تليفون، ٦٥٣٢٠٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله القائل ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله القائل : « **إنما أنا رحمة مهداة** » سيظل الغرب ينظر للإسلام ، من خلال تعاليمه ، وينظر بنظرة المدقق ، والباحث عن الحقيقة ، فيجد أنَّ فى الإسلام ضالته ، ورشاده ، ويجد أنَّهُ دين حق ، وعدل ، وخير .

والذى ينحى العصبية من منهجه العلمى ، يصل إلى هذه المسلمة عن الإسلام . أمَّا الذين فى قلوبهم مرض فإنَّ العماية على عيونهم والغشاوة على قلوبهم تحجبهم أن يروا فى ضوء الشمس لون الأشياء ، وإدراك كنه هذه الأشياء .

أمَّا تولستوى :

فقد سجل شهادة تقدير ، من رجل مسيحى على جبين الإسلام ، هى شهادة نعتز بها . كانت شهادته مملاة من ضميره ، وعقله ، وقلبه ؛ لذا كانت صادقة ، فيها الإنصاف للإسلام ، ولنبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم - .

لهذا فإن كتاب [حكم النبى] صلى الله عليه وسلم وسام ، ووشاح ، يعلق على صدر كل مسلم لما فى دينه من الخير الكثير .

ويكفى الإسلام فخراً ، أن يكون الله هو المتكفل بإظهاره ، قال تعالى : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ [التوبة ٣٣ والصف - ٩] .

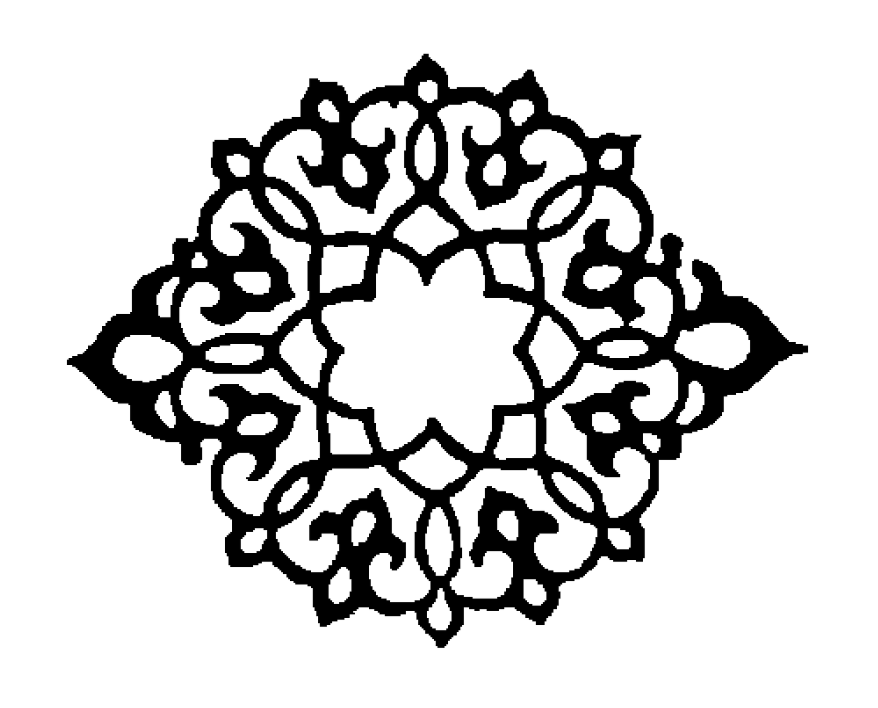
وها هى وسيلة من وسائل إظهار دين الله أن يشهد له من هم على غير هذا الدين ملة وعقيدة . والفضل ما شهدت به الأعداء .

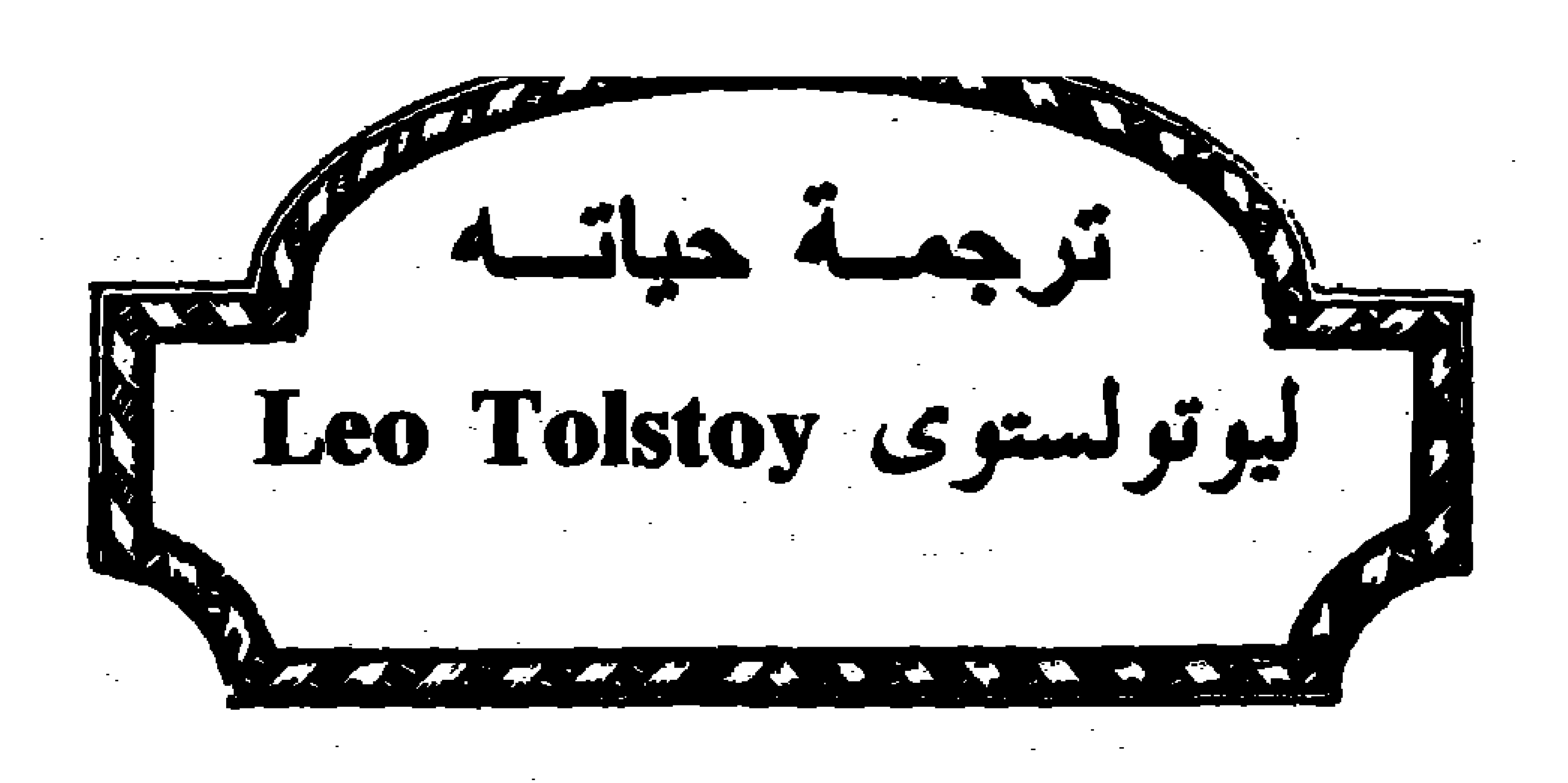
محمود محمد محمود حسن نصار

القاهرة فى ١٤١٠ هـ
١٩٩٠ م

رأى تولستوى فى النبى - صلى الله عليه وسلم -

« ومما لا ريب فيه ، أنَّ النبىَّ محمداً من أعاظم الرجال المصلحين ؛ الذين خدموا الهيئة الاجتماعية ، خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنَّهُ هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة ، والسلام ، وتفضل عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ؛ وفتح لها طريق الرقى ، والمدنية ، وهو عمل عظيم ، لا يقوم به إلا شخص أوتى قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالإحترام والإكرام » .





مولده :

ولد فى مقاطعة « تولا » ، على بعد مائة وثلاثين ميلاً جنوب موسكو ، ولد فى عام ١٨٢٨ .

نسبه :

كان ابنا للكونت نيكولاس تولستوى والأميرة ماريا فولكوسنى وكان أبوه جنرالا .

وهو أيضا حفيد الكونت تولوستوى السياسى ، الروسّى ، المتوفى سنة ١٧٢٩ كان هذا الرجل أرفع الزائرين بمدينة أوربا صوتا ، وأجرأهم قلبا ، وأمضاهم لسانا ، وقلما .

لقد انحدر تولستوى من سلالة نبيلة ، وكانت أسرة والدته من سلالة رود يك ، - أول حاكم ورد اسمه فى التاريخ الروسى - وكان من ضمن دولة زواجها . إقطاعية « ياسنا بوليانا » الجميلة وهى التى ولد بها .

وفاة والديه :

توفيت والدة تولستوى عندما كان عمر [ليو] يقرب من السنتين ، وقامت واحدة من القريبات غير المباشرات ، « تاتيانا إرجوسكى » بمساعدة والده فى رعاية الأطفال ، وقضوا معًا حياة سعيدة .

ولكن توفى والد تولستوى فى صيف عام ١٨٣٧ فوضع الأطفال تحت رعاية حاضن شرعى ، الكونتيسة الكسندرا [أوستن رساكن] وأمضوا السنوات القليلة التالية إمّا بمنزلها فى موسكو وإما فى زيارة [تاتيانا] فى [ياسنايا بوليانا] .

حضانة الأطفال :

ولما توفيت الكونتيسة عام ١٨٤١ ، انتقلت حضانة الأطفال إلى شقيقتها [بالاجيا بوشكوف] وقد ملأ الأسى قلب تاتيانا حينما أخذت بالاجيا الأطفال بعيدا إلى منزلها فى [كازان] حيث أمضى تولستوى السنوات الباقية من طفولته ، ومع ذلك فقد ظل يزور [تاتيانا] كُلَّ صيف .

تولستوى طالبا :

يبدو لى أن ثمة عاملين كانا السبب فى فشله فى التعليم الجامعى : **العامل الأول** هو اعتماده على غنى الأسرة ، فقد كانت أسرته إقطاعية ، **والعامل الثانى** انغماسه فى اللهو ولعب القمار فى موسكو وإذا أضفنا إلى هذين العاملين رفاق السوء فإن المحصلة صفر وهذا ما كان .

فقد إلتحق فى عام ١٨٤٤ بجامعة « كازان » ليدرس اللغات الشرقية « العربية والتركانية » ، وكان يهدف من وراء هذه الرغبة ، العمل فى السلك الدبلوماسى .

كان الطالب يهوى القراءة بشغف ، ومع ذلك كان تركيزه ضئيلا ، ومن أسباب عدم تركيزه انشغاله بزخرف الدُّنيا ، فهمَّ باللهو والعبث ، ولهذا نجده لم يندمج فى الحياة الجامعية بما يحقق له التوفيق ، لقد خسر الفرصة الأولى ، وهى اجتيازه لإمتحانات السنة الأولى ، فغيّر رغبته على الفور ، ليدرس القانون ، التحق وهو يريد أن يحقق ما يصبو إليه ، يريد أنْ ينال الشهادة الجامعية أولا ، ثُمَّ يقاوم طغيان الإقطاع ، بالدفاع عن الأجراء من الفلاحين ، باسترداد حقوقهم المدنية المسلوبة .

لكن ما إن جاءت سنة ١٨٤٧ ، حتَّى وجد تولستوى نفسه بين خيارين كان هذان الخياران ناجمين عن تقسيم أملاك الأسرة الإقطاعية ، أما الخياران فهما : إمّا مواصلة التعليم ، دون الالتفات إلى ما يبقى له من نصيبه فى الميراث والتركة وإمَّا أنْ يصفى حسابه ليعرف ما له من أرض ، وما عليه من حقوق ، وواجبات ، نحو هذه الأرض .

لقد كان نصيبه من الأرض لا يستهان به ، لاسيما وأن هذه الأرض يعمل بها ثلاثمائة وثلاثون (٣٣٠) فلاحا من الذكور ، وأسرهم ، إذن لابد أن يراعيها حتى تعطيه إنتاجية عالية من الثمار ، والغلال ، وبعد أن حقق ما يرمى إليه من أهداف ، وهو معرفة نصيبه من التركة ، وتخطيط سياسته فى هذه التركة الملقاة على كاهله ، وبالتحديد بعد صيفين توجه إلى موسكو ، ثُمَّ إلى بطرسبرج لنينجراد « حاليا » حيث إنَّهُ صمم على أنْ يحقق حُلمه الكبير ، وهدفه النبيل ، وهو نيل الشهادة الجامعية ، التى ترفع من مكانته العلمية أمام عظماء رجال الإقطاع فى زمانه .

لكنه وللأسف تعلق بالقمار ، وأخذ كل وقته وماله ، وهو فى هذا التصرف مبتعد عن التوجيهات التى منحتها إياه « تاتيانا » فقد زودته بما فيه مصلحة له .

إن هذه الأمور الغريبة ، والتصرفات الطائشة من تولستوى جعلته يبتعد عن الصواب مما أدى به إلى تورطه فى الديون .

التحاقه بالجيش :

إننى أقرر أن تاريخ تولستوى الفنى والأدبى والمجد الذى صنعه لنفسه بدأ منذ التحاقه بالجيش ، وذلك أن مراحل النضال التى مر بها فى حروب الجيش الذى عمل فيه ألهمته هذه الموهبة الفنية والإبداعية فى العمل القصصى .

أذكر ذلك لأننا جميعا نمر بتجارب كثيرة فى الحياة دون التوقف عندها . أما الفنان الصادق والأديب المخلص والعالم الباحث لا تمر عليه هذه الأحداث وتلك التجارب دون أن يدون ملاحظاته ، ويسجل أفكاره ويحاول أنْ يكون له رأى فيما يحيط حوله .

وهذا ما حدا به « تولستوى » ، فكان فى تصويره ، لشخصيات قصصه ، كالشاعر ، الذى يضرب على وتر حساس ، فيؤثر فى الناس جميعا .

وتبدأ اللحظة الأولى ، لحظة التحاقه بالجيشْ ؛ إذْ أَنَّ هذه اللحظة ، كانت عندما عاد أخوه نيكولاس ، الذى كان يعمل فى الجيش الروسى بالقوقاز ، حيث عاد إلى بلده ليقضى إجازته التى يحصل عليها بعد فترة من العمل فى الخدمة العسكرية ، يحدثه عن الانتصارات التى حققها الجيش الروسى فى بلاد

القوقاز ، ويخبره عن ألوان البطولة والشجاعة ، وعندئذ تأثر الشاب بهذه القصص ، من البطولات والأمجاد ، فقرر بعد تسعة أشهر الانضمام إلى الفرقة الروسية القوقازية ، فى القتال ضد قبائل السهول . التتارية ، كانت تلك الأيام التى قضاها فى الجيش ، لحظات تسجيل فى الذاكرة تعى دروس الحرب ، وتحبذ على السلام .

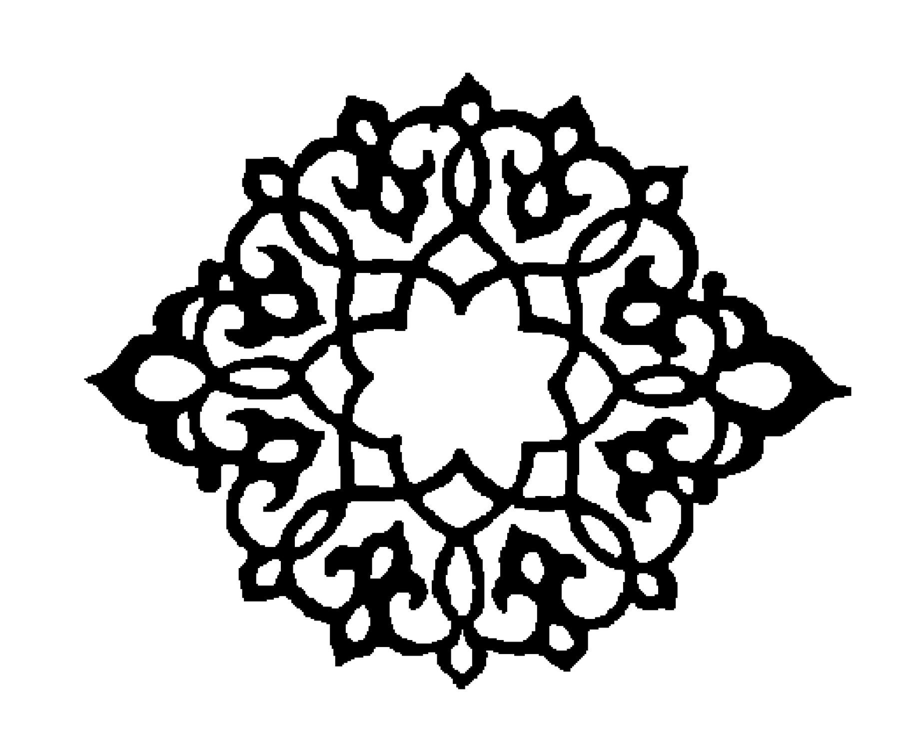
فأنتج رائعته رواية [الحرب والسلام] .

كانت روح الدين المسيحى التى ينبض بها قلبه ، تحببه إلى السلام وتنفر الحرب لديه .

رحلاته :

يسافر بعض الناس لأجل المتعة والفائدة العلمية عندما يزورون متاحف وآثار ومراكز أبحاث علمية ، ويسافر البعض لأجل حضور ندوات ومؤتمرات دراسية، ويسافر فريق آخر فراراً من النظم السياسية التى يعيشون فى ظلها .

ويعود بعض المسافرين وفى جعبته الكثير من الأفكار الجديدة والأبحاث المتقدمة .





صفات الأدب العالمى

وعندما يكتب الأديب فإنما يسجل انطباعاته الشخصية وتكون قيمة هذه الانطباعات عالمية عندما تكون :

أ) تعالج قضايا إنسانية عالمية لا تخضع لإقليم بعينه مثل قضايا الحب والزواج والميراث والطلاق والحرب والسلام .

ب) عندما يعبر الأديب عن المجموع لا عن الأنا الذاتية أىّ يكون موضوع المعالجة عاما وليس خاصا .

جـ) يكتسب عمل الأديب صفة العالمية عندما يكتب ولا تخضع كتابته لعنصر الزمن الوقتى بل يكون الزمن عنده ممتدًا مثل حديثه عن الحياة والموت والسعادة والأمل والوفاء والصفات الأخلاقية الحميدة ونبذ الصفات الذميمة .

من أجل توافر هذه العناصر الثلاثة للأدب العالمى استحق تولستوى أن يكون روائيا عالميا .

« وفى عام ١٨٥٧ زار سويسرا ثم ذهب إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا من عام ١٨٦٠ إلى عام ١٨٦١ وبذا يكون زار غرب أوربا » .

ولم تعجبه مبادىء النهضة الأوربية فأخذ يوجه لها الانتقادات .

زواجه :

« تزوج فى عام ١٨٦٢ من الكونتيسة صوفيا أندريفنابرز التى كانت زوجة متفهمة ومحبة لواجباتها » .

استطاعت هذه الزوجة بإخلاصها أنْ توفر للأديب العالمى الجو الأسرى الذى شجّعه على الكتابة والاهتمام بعمله مما جعله مجيدا وحدا به إخلاصه فى عمله إلى أنْ يكون روائيا عالميا .

اهتمامه بإقامة المدارس :

إن رهافة حس تولستوى وشدة اهتمامه بمن حوله ، لاسيما فى المجتمع الروسى الذى كان يحكمه الإقطاعيون ؛ وهو واحد منهم . تأثر بالفلاح الذى يعمل كمملوك (عبد) عند أصحاب الأرض ؛ بل ويعتبر ملكا من ضمن أملاك هذه الأطيان التى يمتلكها هؤلاء الإقطاعيون فقد أثر فى نفسه نظام السخرة التى يعامل بها هؤلاء الفلاحون ، فأراد أن يرتفع بمستواهم التعليمى فعمل على إنشاء المدارس ويقال إنه أراد أن ينشأ معهدا لهم ولكنه لم يفعل لضعف الإمكانيات .

لقد دافع تولستوى عن الفلاح فى رواياته المختلفة وناضل من أجله ضد نير ملاك الأرض وبعد ذلك الوقت لم يغادر بوليانا .

ثناء العلماء عليه :

(١) جاء فى موسوعة المورد المجلد (١٠ ص ٧ أنَّه « روائى وفيلسوف أخلاقى ومصلح اجتماعى روسى يعتبر أحد أعظم الروائيين فى العالم كله ، وقد تميزت اثاره بعمق تحليله للإنسان ، ككائن اجتماعى رفض فى أواخر حياته مؤسسات المجتمع وفيها الملكية الشخصية والدولة نفسها » .

(٢) وذكرت الموسوعة الميسرة طبعة دار الشعب مع مؤسسة فرانكلين ص ٥٦١ قالت عن تولستوى :

« روائى وفيلسوف روسى من أكبر كتاب العالم انحدر من أسرة نبيلة ولكنه فقد أبويه فى التاسعة من عمره » .

(٣) ويقول عنه الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٣/٢) واصفا نشأته والمبادىء التى كان ينادى بها :

« نشأ جنديا ثم اشتغل بإصلاح الهيئة الإجتماعية أخذ يكتب الأقاصيص يودعها مذهبه حتى ذاع صيته وطبق آفاق العالم وعرف فضله حتى الجاهل .. تصدى لقادة الأديان ، وصاح بهم صيحات انتقاد واستهزاء حملتهم على حرمانه

والحكم بإلحاده ، وجاهر الحكومة الروسية بما يضمر لها الشعب من المقت حتى صادرت مؤلفاته وأحاطته بالعيون والأرصاد ولولا كبر سنه وكثرة أحزابه لأوقعت به .

فكرة عن مذهبه ومبادئه :

يقول الأستاذ/ محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٣/٢) :

«كان مذهبه مبنيًا على عدة أصول أهمها عدم مقاومة الشر بالشر فمن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، وعليه فلا داعى لوجود حكومة ولا قانون ولا شرطة »

- وقد خلط هذا المبدأ بأصول اشتراكية والكومونية المتطرفة .

- كان يرى أنَّهُ من خلاص العالم هو تطبيق تعاليم الإنجيل .

- كان يرى أن الكاتب كى يكون صادقا مع نفسه لابد أنْ يستمد معطيات مادته الكتابية من الواقع .

ولذلك عندما أراد أن يكتب عن الفلاحين نزل كى يسمع لغة الحوار التى تدور بينهم حتى يسجلها من أفواههم .

- مما يذكر عنه كما جاء فى الموسوعة الميسرة .

لقد أدى إصراره على تطبيق مبادئه فى حياته وتصميمه على التخلى عن جميع ممتلكاته إلى نشوب خلاف خطير بينه وبين زوجه ، وانضم أولاده إليها فيما بعد عدا ابنته الصغرى الكسندرا التى صاحبته حينما ترك بيته سنة ١٩١٠ ، ووافته المنية فى نفس العام وهو فى محطة للسكك الحديدية فى صحبة ابنته .

مؤلفاته :

إن العظمة فى الرجال إذا قيست بمبدأ التأثير فى النفوس فقد ذكر الأستاذ/ محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين أنه عندما جاهر تولستوى

بمبادئه المناهضة (للدولة) ولاسيما أنه وصل نبض الشعب إلى قلب حكومته . « وأحاطته (الحكومة) بالعيون والأرصاد ولولا كبر سنه وكثرة أحزابه لأوقعت به » .

إذن الرجل لم يكن هينا بل كان له تأثير ونفوذ لهما ثقل فى الرأى العام .

وإذا قيست العظمة بمقدار ما ينشره الفرد من أفكار فإن رسالته الموسومة (بحكم النبى محمد) تبين لنا مقدار الذكاء الذى كان يتمتع به الرجل وإنصافه للحق وإقامة الدليل على ما يذهب إليه بالحجة والبرهان الساطع .

لقد كان ينشر الفضيلة فنبذ الحرب فى روايته الشهيرة الحرب والسلام وفضّل عليه السلام .

لم تكن شهرته وليدة يوم وليلة بل كانت نتيجة :

(أ) فكر مبدع .
(ب) عمل مخلص .
(جـ) مبادىء عُليا يُدافع عنها .

أمّا أهم مؤلفاته فهى : كما ذكرت فى الموسوعة الميسرة :

١ - الحرب والسلام :

جاء فى الموسوعة الميسرة

« هى ملحمة نثرية تدور حول حروب نابليون صور فيها عدة شخصيات أبدع تصويرها عرض فيها فلسفته فى التاريخ التى تقلل من شأن الدور الذى يلعبه الفرد فيه » .

٢ - آنا كارنينا :

التى على الرغم من تصويرها الواقعى لمدينة بطرسبرج تهتم برسم الصراع الباطن فى الشخصيات .

٣ - موت إيفان التيتش نشر سنة ١٨٨٤ .

٤ - مسرحية قوة الظلام نشر سنة ١٨٨٦ .

٥ – « **سوناتا الكروتزر** » « كروتيسر سوناتا » نشرت سنة ١٨٩٩ .
الأولى كما فى مجلد المعرفة (١٦٠/١) والثانية كما فى الموسوعة الميسرة .

٦ – **مسرحية الجثة الحية**

٧ – **الطفولة** أول ما نشر فى سنة ١٩١١ يحكى فيه عن تاريخ حياته سنة ١٨٥٢ وهو فى القوقاز .

٨ – **الصبا** نشره سنة ١٨٥٤ وهو الجزء الثانى للطفولة .

٩ – **الشباب** نشر سنة ١٨٥٧ .

١٠ – **الغارة** .

١١ – **ذكريات مسجل البلياردو** .

١٢ – **تقطيع الأخشاب** .

١٣ – **العاصفة الثلجية** .

١٤ – « حكايات » **سيبا ستوبول** .

١٥ – **الاعترافات** سجل فيها الاعترافات التى مرّ بها حتى بلغ الإيمان ونشرت سنة ١٨٧٩ .
وفى موسوعة المورد ذكرت هذه الرواية باسم اعتراف **A confession** نشرت سنة ١٨٨٢ .

١٦ – **البعث Resurrection** نشرت عام ١٨٩٩ .

١٧ – **الحاج مراد** سنة ١٨٩٦ : ١٩٠٤ .

كتب عرض فيها مبادئه :–

١٨ – عرض مجمل للكتاب المقدس سنة ١٨٨١ .

١٩ – ما أومن به سنة ١٨٨٢ .

٢٠ – قانون المحبة وقانون القوة سنة ١٨٠٩ .

٢١ – مقاله النقدى « ما الفن ؟ » .

« الذى يؤكد فيه المسئولية الخلقية الملقاة على عاتق الفنان ويهاجم فيه روائع الفن العالمى بما فيها رواياته التي كتبها قبل ارتداده » .

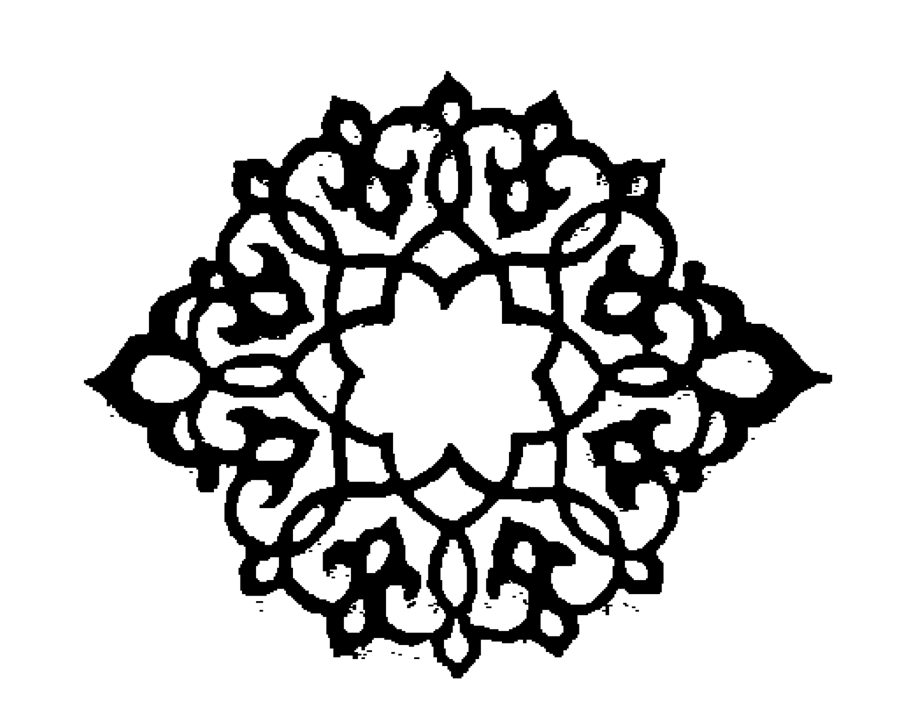
وفاته :

كان رجلا جدّيا فأراد أنْ ينفذ مبادئه التى كان ينادي بها فعندما أعلن عن ترك أملاكه وقفا لأهل الخير وللفقراء من الفلاحين تصدت له زوجته ودار صراع مرير كان نتيجته تفكك الأسرة فعاشت زوجته وأبناؤها فى ربوع التركة وتخلى هو عنهم وذهب إلى مدينة بعيدة عن العيون وقيل إنه أراد السفر إلى دولة أخرى .

لكنه أراد أن يقطن فى منزل متواضع وفى غرفة من غرف هذا المنزل سكنت معه ابنته الوحيدة (الكسندرا) التى فضلت العيش معه ووافته المنية حينما كان يذعن ارتياد القطار فى محطة السكك الحديد ومعه ابنته فى صحبته .

توفى سنة ١٩١٢ .

وبوفاته فقد العالم رجلا محبا للسلام ، مدافعا عن القيم الإنسانية النبيلة والأخلاق الكريمة .





مصادر هذه المقدمة

١ - دائرة معارف القرن العشرين .
للأستاذ العلامة/ محمد فريد وجدى .
٢ - الموسوعة الميسرة .
التى نشرتها دار الشعب .
٣ - مجلة المعرفة .
٤ - موسوعة المورد .
٥ - دائرة المعارف للبستانى .

ترجمة الكتاب ونشره :

ترجم هذا الكتاب الأستاذ سليم قبعين سنة ١٩١٢ .

ونشره ضمن كتاب يحمل اسم « حكم النبى محمد » للفيلسوف تولستوى « وشىء عن الإسلام وأوربا » .

نقله إلى العربية عن الروسية سليم قبعين .

وجاء فى صدر الكتاب .

عرّب عبد الله السهروردي في الهند كتاب « أحاديث النبى محمد واتخذ لكتابه عنوانًا الآية القرآنية الآتية : **﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾** [٣٢ التوبة] .

والأحاديث المذكورة فى هذه الرسالة اختارها الفيلسوف تولستوى من كتاب عبد الله السهروردى وقال عنها : إنها لا تخالف فى شىء تعاليم الديانات الأخرى التى ترشد إلى الحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

عملي في هذا الكتاب :

أولا : رددت الأفكار التي كتبها تولستوى في كتابه إلى ما تشير إليه بعض آيات القرآن ؛ ولذا كانت اختياراتي للآيات موجزة .

ثانيا : رددت معظم الأحاديث النبوية إلى مظانها من كتب السنة المشهورة مع ترقيمها .

ثالثا : وقع لي أنّ الأحاديث التي أرقامها الآتي ١٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ .

لم أهتد إليها فلم أعثر عليها خلال أكثر من ثلاثين كتابا من كتب السنة المشهورة .

وأرد ذلك إلى :

أ - ضعف صياغة المترجم للحديث إلى اللغة العربية .

ب - ربما يكون ما أشار إليه بأنه حديث قولاً من الأقوال المشهورة لذا لم نجدها في كتب السنة .

جـ - ربما يكون أخطأ تولستوي عندما نقل ترجمة عبد الله السهروردى الخطأ هي الأخرى .

د - هذه أو بعضها ربما تكون أحاديث ضعيفة جداً أو منكرة - والله أعلم - أو حكماً من أقوال كبار رجال الصوفية .

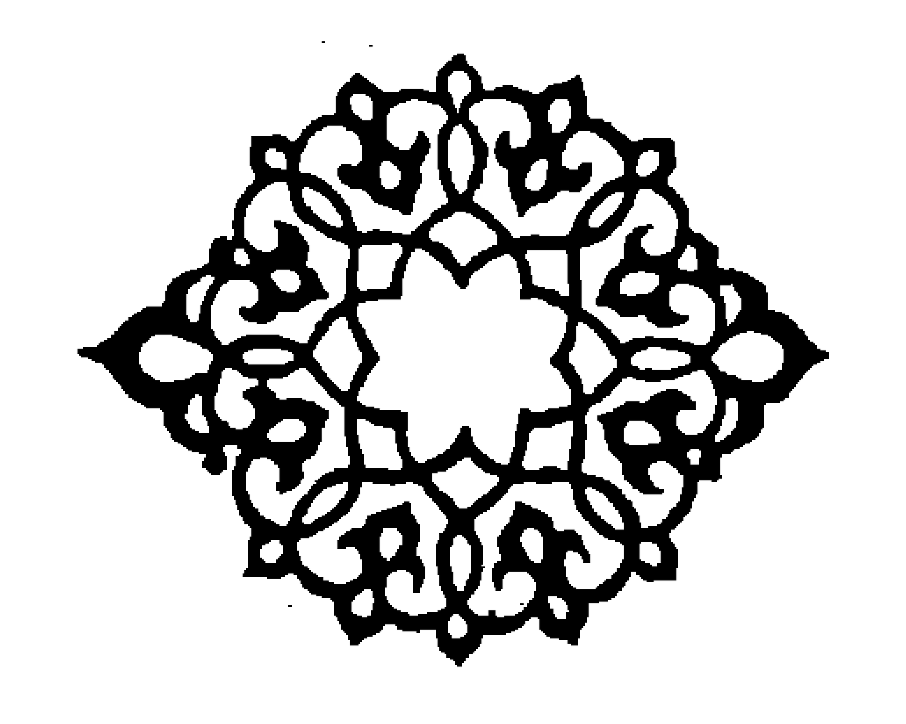
ومما يقوى وجهة نظري في تصوري قول المترجم أسفل صفحة الأحاديث النبوية هذه الأحاديث اختارها الفيلسوف تولستوى من كتاب عبد الله السهروردي وعربها من الانكليزية إلى الروسية ودعاها « حكم النبى » .

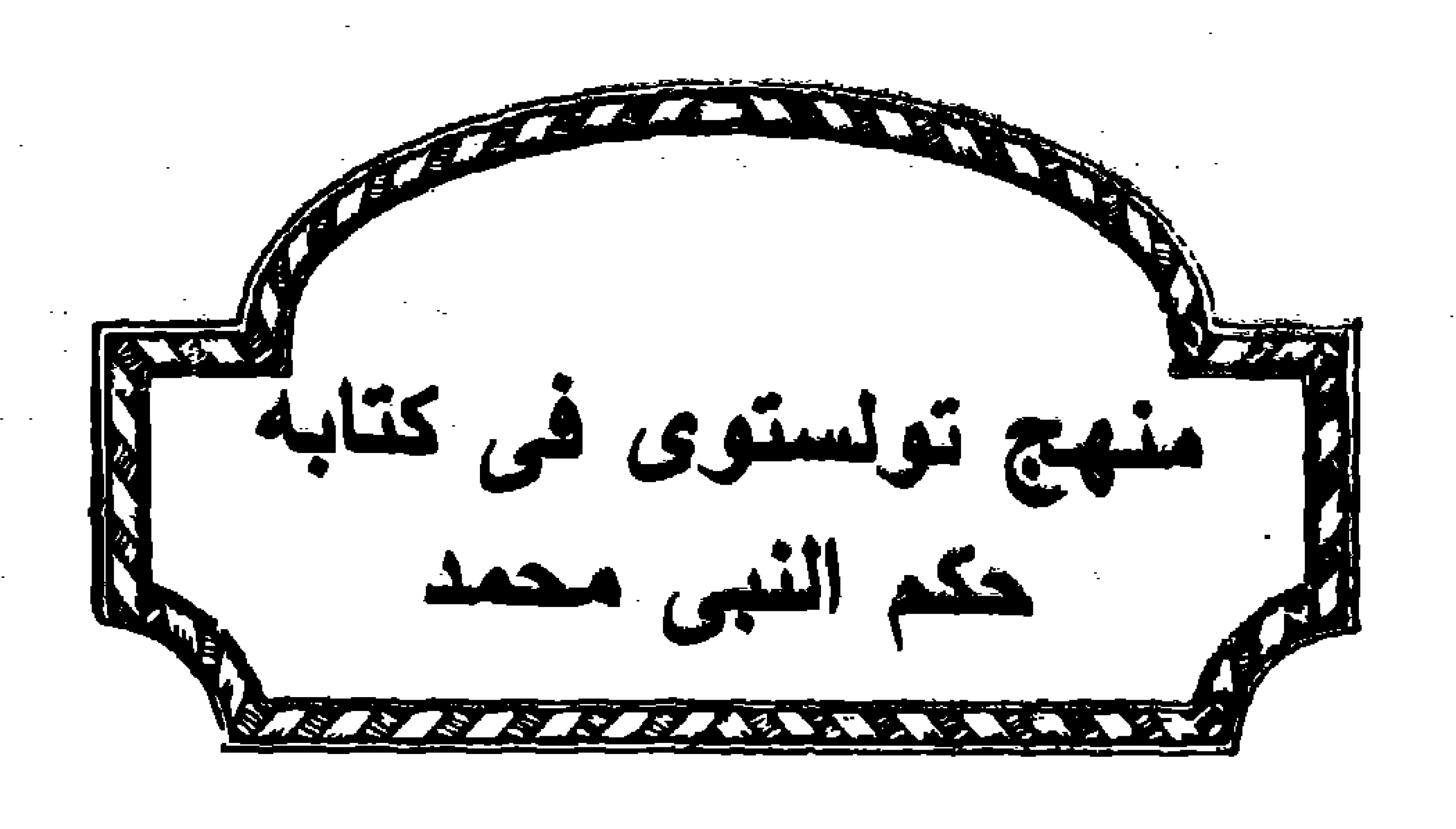
وفي الأصل الروسى أحاديث غير هذه لم نقف عليها في كتب الأحاديث ويظهر أنها من حِكَم الأولياء أو العرب التي ينسبها الإفرنج في كتبهم إلى النبى ﷺ .

رابعا : فسّرت بعض المفردات التى وردت فى الكتاب .

خامسا : كتبت ترجمة عن المؤلف من دوائر المعارف المشهورة مثل دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى .

سادسا : قمت بوضع عناوين جانبية للكتاب





قسم تولستوى كتابه إلى ثلاثة أقسام :

أولا : القسم الأول تحت عنوان : من محمد ؟

وتحدث فيه عن النقاط الآتية .

١ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - مؤسس الدين الإسلامى .
٢ - خلاصة هذه الديانة التى نادى بها محمد - صلى الله عليه وسلم - .
٣ - لم يدعى النبى أنه النبى الوحيد .
٤ - مميزات المؤمنين به عن العرب .
٥ - نظرة أصحاب الغيرة من أنصار النبى إلى الوثنيين .
٦ - ما اشتهر به المسلمون به فى صدر الإسلام .
٧ - كلمة إنصاف من تولستوى للنبى .

ثانيا : القسم الثانى الأحاديث النبوية :

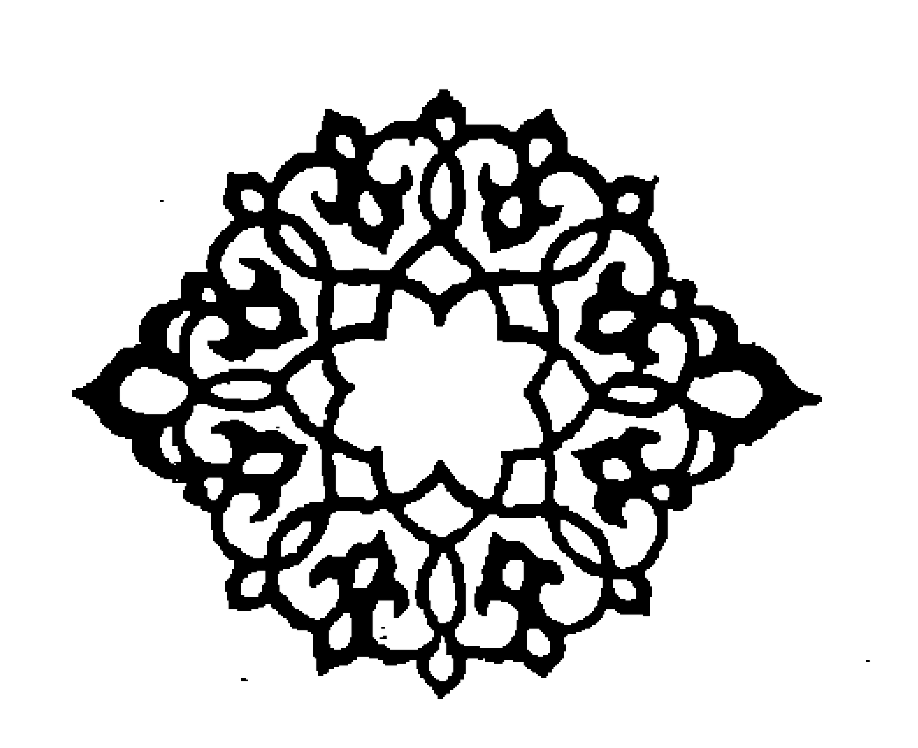
ساق الفيلسوف تولستوى فى كتابه هذا اثنين وستين حديثا وسماها حكماً اختارها من كتاب عبد الله السهروردى وعربها من الانكليزية إلى الروسية .

قال المترجم فى أسفل الصفحة التى بدأ فيها بذكر الأحاديث التى ساقها تولستوى وفى الأصل الروسى أحاديث غير هذه لم نقف عليها فى كتب الأحاديث ويظهر أنها من حكم الأولياء أو العرب التى ينسبها الإفرنج فى كتبهم إلى النبى .

ثالثا : القسم الثالث : عن الحجاب والزواج وما بينهما :

تحدث تولستوى عن النقاط التالية :

١ – الطلاق والحجاب .
٢ – خلع المرأة رداء الحشمة .
٣ – مهمة الزوج فى مراقبة سلوك امرأته .
٤ – دوام الحب من رابع المستحيلات .
٥ – كلا الزوجين فى الغرب فى حالة خداع مع رفيقه .
٦ – الفساد المنتشر بين الناس .
٧ – انتشار أندية الرجس والزنا .
٨ – الشباب والأطباء وموقفهما من قضية الزنا .
٩ – حفلات الرقص الماجنة وما يحدث فيها من لهو .
١٠ – نساء الطبقة العليا وتقليدهن للداعرات .



ما يؤخذ على تولستوى فى كتابه

قوله « إن نشر الإسلام بطريق القوة لم يرق البوذيين والمسيحيين المشهورين بالوداعة » .

هذا القول يؤيد من يقول : إن الإسلام نشر بالسيف وما هو بصحيح بدليل أن الله مدح نبيه فقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ إن رسول الله رحمة وإن « دعوته رحمة » فهم يوسمون الإسلام بما ينفر المرء والقرآن يقول : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ وهذه الآية تبين منهج الدعوة فى الإسلام .

إن مهمة السيف فى الإسلام هى حفظ المصحف والدفاع عن دعوته ؛ ولذلك كان النبى ينهى أصحابه عند فتح البلاد بألا يقتلوا شيخا أو طفلا أو امرأة ولا يقلعون زرعا أو نخلا ، هذه هى رحمة الإسلام التى تبنى وتدافع عن الحق .

من كان محمد ؟

قال الفيلسوف تولستوى ، تحت هذا العنوان ما هو بالحرف الواحد : « إنَّ محمدً هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية ؛ التى يدين بها فى جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون[1] نفس » .

وُلِدَ النَّبى محمدٌ فى بلاد العرب سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح ، من أبوين فقيرين وكان فى حداثته راعيا .

---

(١) هذا الإحصاء فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وعدد المسلمين الآن يزيد على سبعمائة مليون نسمة .

ومال منذ صباه إلى الانفراد فى البرارى ، والأمكنة الخالية[٢]، حيث كان يتأمل بالله وخدمته .

إنَّ العرب المعاصرين له عبدوا أربابًا كثيرة[٣]، وبالغوا فى التقرب إليها ، واسترضائها ، فأقاموا لها أنواع التعبد ، وقدَّموا لها الضحايا المختلفة ، ومنها الضحايا البشرية .

ومع تقدم محمد فى السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب ، وأنَّ ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إلهاً[٤] واحدا حقيقيا لجميع الشعوب .

وقد ازداد هذا الاعتقاد فى نفس محمد حتّى قام فى نفسه ، أن يدعو أمته ، ومواطنيه إلى الإيمان باعتقاده الراسخ فى فؤاده[٥].

وقد دفعه عامل داخلى[٦] إلى أن الله اصطفاه لإرشاد أمته وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق فأخذ من ذلك العهد ينادى باسم الواحد الأحد بحسب ما أوحى إليه ، ومقتضى اعتقاده الراسخ .

---

(٢) كان يذهب النبى ﷺ إلى غار حِرَاء (بكسر الحاء) يتعبد فيه لله .

(٣) قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون** ﴾ [سورة النحل الآية – ٧٣] .

(٤) قال تعالى ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾ [سورة الأنبياء – ٢٢] أى فى السموات والأرض .

(٥) كان منهاج دعوة سيدنا رسول الله ﷺ هو قوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [سورة النحل الآية – ١٢٥] .

(٦) لم يكن عاملا داخليا إنما هو أمر الله سبحانه وتعالى : الذى يقول فيه : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ وهذا اعتقاد فاسد من تولستوى وقول فيه بهتان .

أما لجهله بالنص القرآنى الذى ذكرته أو صدر منه عن عصبية دينية بغيضة .

[خلاصة دين الإسلام] :

وخلاصة هذه الديانة التى نادى بها محمد هى أنَّ الله واحدٌ ، لا إله إلا هو[٧]، ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة[٨]، وإنَّ الله رحيمٌ عادلٌ ؛ وإنَّ مصير الإنسان النهائى متوقف على الإنسان نفسه[٩]. فإذا سار حسب شريعة الله وأتمَّ أوامره واجتنب نواهيه ؛ فإنَّهُ فى الحياة الأُخرى يؤجر أجرًا حسنًا[١٠]، وإذَا خَالَف شريعة الله وسار على هواه فإنَّهُ يُعاقب فى الحياة الأخرى عقابا شديداً[١١].

وإن كل شيء فى هذه الدنيا فان زائل ، ولا يبقى إلا الله ذو الجلال[١٢]، وأنه بدون الإيمان بالله وإتمام ، وصاياه لا يمكن أنْ تكون حياة حقيقية[١٣]، وإنَّ الله تعالى يأمر الناس بمحبته[١٤] ومحبة بعضهم بعضًا[١٥]، ومحبة الله تكون

---

(٧) قال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ [سورة الإخلاص الآيات من ١ : ٤] .

(٨) قال تعالى : ﴿ **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أمْ الله الواحد القهار** ﴾ [سورة يوسف الآية ٣٩] .

(٩) قال تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ [سورة المدثر الآية – ٣٨] .

(١٠) قال تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا** ﴾ [سورة النساء الآية – ٣١] .

(١١) قال تعالى : ﴿ **ومن يشاق الله فإنَّ الله شديدُ العقاب** ﴾ [سورة الحشر الآية – ٤] .

(١٢) قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [سورة الرحمن (٢٦ ، ٢٧)] .

(١٣) قال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ . [سورة آل عمران الآية (٨٥)] .

(١٤) قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [سورة آل عمران الآية – ٣١] .

(١٥) قال عليه الصلاة والسلام : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .
وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [سورة الحجرات الآية – ١٠] .

فى الصلاة[١٦] ومحبة القريب تقوم فى مشاركته فى السراء والضراء، ومساعدته[١٧] والصفح عن زلاته[١٨] وإن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضى عليهم أنْ يبذلوا وسعهم؛ لإبعاد كُلَّ ما من شأنه إثارة الشهوات النفسانية[١٩].

والابتعاد أيضاً عن الملذات الأرضية[٢٠]، وأنَّهُ يتحتم عليهم ألّا يخدموا الجسد ويعبدوه[٢١] بل يجب عليهم أن يخدموا الروح[٢٢] وأنْ يزهدوا فى

---

(١٦) قال تعالى: ﴿ **وهم على صلاتهم يحافظون** ﴾ [سورة الأنعام الآية ٩٢].

(١٧) قال تعالى: واصفا المتقين: ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء** ﴾.
[سورة آل عمران الآية ١٣٤].

(١٨) أمرنا الله عز وجل بالعفو والصفح فقال تعالى: ﴿ **فاعفوا واصفحوا** ﴾.
[سورة البقرة الآية ١٠٩].

(١٩) قال تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ [سورة النور (٣٠، ٣١) وذكر المحرمات على المرأة النكاح منهم وقال تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [العنكبوت: ٦٩] والجهاد بالنفس وبالمال وبطاعة الله ومحاربة شهوات النفس.

(٢٠) الابتعاد عن الملذات الأرضية هو الزهد وقد سمى الله أهل الزهد علماء بقوله تعالى إذ وصف قارون: ﴿ **فخرج على قومه فى زينته فقال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن** ﴾ من قيل هم الزاهدون فى الدُّنيا وقال عز وجل: ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ جاء فى التفسير صبروا على الزهد فى الدنيا.
قوت القلوب (٢٤٢/١) لأبى طالب المكى.

(٢١) من مظاهر عبادة الجسد الافتتان به والاهتمام به بحيث يشغل كل الوقت وينسى صاحبه خالقه قال تعالى: ﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابا** ﴾.
[سورة آل عمران الآية (٦٤)].

(٢٢) يخدمون الروح بطاعة الله عز وجل ورسوله قال تعالى:
﴿ **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ﴾ [سورة آل عمران - الآية - ١٣٢].
وقال تعالى: ﴿ **أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون** ﴾.
[سورة الأنفال الآية - ٢٠]

الطعام والشراب[٢٣] وأنَّهُ محرم عليهم استعمال الأشربة الروحية المهيجة[٢٤] ومحتم عليهم العمل والجد[٢٥] وما شابه ذلك .

[النبى ليس النبى الوحيد] :

ومحمد لم يقل عن نفسه إنَّهُ نبى الله الوحيد[٢٦]، بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى والمسيح[٢٧]، وقال إنَّ اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك

---

(٢٣) ذكر الإمام مسلم فى صحيحه حديث فى فضيلة أكل الجماعة فقال فيما رواه أبو هريرة قال عليه الصلاة والسلام : « **طعام الاثنين كافِ الثلاثة وطعام الثلاثة كافِ الأربعة** » .

قال الإمام النووى معقباً على الحديث : هذا فيه الحث على المواساة فى الطعام وأنه وإن كان قليلا حصلت منه الكفاية المقصودة ووقعت فيه بركة تعم الحاضرين عليه والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾
[سورة الأعراف الآية ٣١]

(٢٤) لم يسمها إلا الغرب المسيحى والشرق الملحد بالمشروبات الروحية قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة ٩٠] .

﴿ **إنما يريد الشيطان أنْ يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ [المائدة ٩١]

(٢٥) قال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [سورة التوبة : الآية ١٠٥]

(٢٦) قال تعالى : ﴿ **قل ما كنت بدعًا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إنْ أتبع إلاَّ ما يُوحى إلى وما أنا إلاَّ نذيرٌ مبين** ﴾ [سورة الأحقاف الآية : ٩]

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردوية عن ابن عباس « **قل ما كنت بدعا من الرسل** » يقول : لست بأول الرسل « **وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم** » فأنزل الله بعد هذا ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ وقوله : ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات** ﴾ الآية فأعلم الله سبحانه نبيه ما يفعل به ، وبالمؤمنين جميعًا .
[الدُّر المنثور (٣٨/٦)]

(٢٧) قال تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرقٍ بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [سورة البقرة – الآية : ٢٨٥] =

دينهم[٢٨]؛ بل يجب عليهم أنْ يتمموا وصايا أنبيائهم[٢٩]، وفى مبتى دعوة محمد الأولى احتمل كثيراً من اضطهاد أصحاب الديانة القديمة ، شأن كل نبى قبله نادى أمته إلى الحق ؛ لكن هذه الاضطهادات لم تثن عَزمه بل ثابر على دعوة أمته[٣٠].

وسيدنا موسى وسيدنا عيسى كلاهما نبيان ورسولان كما فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة .

(٢٨) قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾
[سورة البقرة : الآية (٢٥٦)]

قال الإمام الشوكانى فى فتح القدير (٢٧٥/١) « نزلت فى أهل الكتاب خاصة وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدّوا الجزية بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وإلى هذا ذهب الشعبى والحسن وقتادة والضحاك » .

(٢٩) كيف يتمون وصايا أنبيائهم وقد غيروا وبدلوا وحرّفوا كتابى الله التوراة والإنجيل .
لقد استنكر عليهم القرآن أن تكون التوراة التى بأيديهم هى التى أنزلها الله فقال تعالى :
﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ [سورة آل عمران الآية (٩٣)]
ولعل تولستوى يذهب إلى ما يقوله بإقامة وصايا أنبيائهم إلى ما قصدته الآية الكريمة
﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** ﴾ [سورة المائدة (٦٦)]
والحق أنهم كما قال القرآن ﴿ **قل يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين** ﴾ [سورة المائدة الآية ٦٨]
ولقد تحدثت فى هذا الموضع باستفاضة فى كتابى الموسم [مصر واليهود فى القرآن] « نشر مكتبة التراث الإسلامى بشارع الجمهورية بالقاهرة فلينظر »

(٣٠) قال تعالى : ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٠]
وقال تعالى : ﴿ **ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا** ﴾
[سورة الرعد الآية (٣٢)]
وقال تعالى : ﴿ **وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك** ﴾
[سورة فاطر الآية ٤] =

[مميزات المؤمنين بالإسلام عن العرب :

وقد امتاز المؤمنون كثيراً عن العرب بتواضعهم وزهدهم فى الدُّنيا وحب العمل وزهدهم فى الدُّنيا وحبِّ العمل والقناعة[٣١] وبذلوا جهدهم لمساعدة إخوانهم فى الإيمان لدى حلول المصائب بهم و لم يمض على جماعة المؤمنين زمن طويل حتى أصبح الناس المحيطون بهم يحترمونهم احترامًا عظيمًا ويعظمون قدرهم .

وغدا عدد المؤمنين يتزايد يوما بعد يوم[٣٢].

= وقال تعالى : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا ﴾
[سورة الأنعام الآية (٣٤)]

وخاطب أهل الكتاب فقال تعالى : ﴿ يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ [سورة المائدة الآية (١٩)]

(٣١) قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفارَ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ [سورة الفتح الآية (٢٩)]

وهذا وصف رائع وجميل لأصحاب سيدنا رسول الله ﷺ .

(٣٢) ازداد أصحابه عددا واحتراما وتعظيما له لما تميز به من صفات نبيلة وخلق قويم . قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنَّ الله يُحبُّ المتوكلين ﴾ [سورة آل العمران الآية (١٥٩)]

لقد حقق النبى ما لم يحققه رجل فى تاريخ الجنس البشرى . يقول حيدر بامّات :
قر محمد عينا قبل وفاته بأن شاهد ما تم للأمة العربية من وحدة أدبية وسياسية فقد حطمت الأصنام وحوّل الكعبة إلى مسجد وأسلمت قبائل اليمن وحضرموت وعمان ونجد من الوثنية وعادت جزيرة العرب بأسرها لا تؤلف غير أمة واحدة تعبد إلهاً واحداً .

كتاب « مجالى الإسلام » ص٥١ ط عيسى البابى الحلبى .

[موقف أصحاب الغيرة من الوثنيين] :

غير أن أصحاب الغيرة من أنصار النبى كانوا ينظرون إلى الوثنيين المحيطين بهم ، وفسادهم بعين الغضب والاستياء ، فدفعتهم غيرتهم على الحق إلى حمل النبى ﷺ على أنْ يُرغم النّاس بالقوة على الإسلام والاعتراف بوحدانية الله[٣٣]، ومع أنّ هؤلاء الأنصار لم يبيحوا سفك الدماء للحصول على الأموال أوْ غيرها من متاع الدنيا ، ولكنهم أباحوا الحرب فى سبيل الإيمان زاعمين أنّهم بذلك يرضون الله بإدخال الناس فى دينه القويم بالقوة ، أولئك الذين أصروا على البقاء فى الضلالِ ولَمْ يقتنعوا بدعوة النبى .

---

(٣٣) شاع عن الإسلام أنه « دين سيف » ، ويقول الأُستاذ العقاد فى كتابه « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » فى تعليقه على هذه الفرية : وهو قول يصح فى هذا الدين إذا أراد قائله : أنه دين يفرض الجهاد ، ومنه الجهاد بالسلاح .

ولكنه غَلَط بيِّن إذا أريد به أن الإسلام قد انتشر بحد السيف ، أو أنه يضع القتال فى موضع الإقناع .

وقد فطن – لسخف هذا الإدعاء – كاتب غربى كبير هو : توماس كارليل صاحب كتاب « الأبطال وعبادة البطولة » فإنه اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم مثلا لبطولة النبوة وقال ما معناه : « إن اتهامه بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ؛ إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يُشْهر رجلٌ فردٌ سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا لدعوته فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين ومصدقين ، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها » .

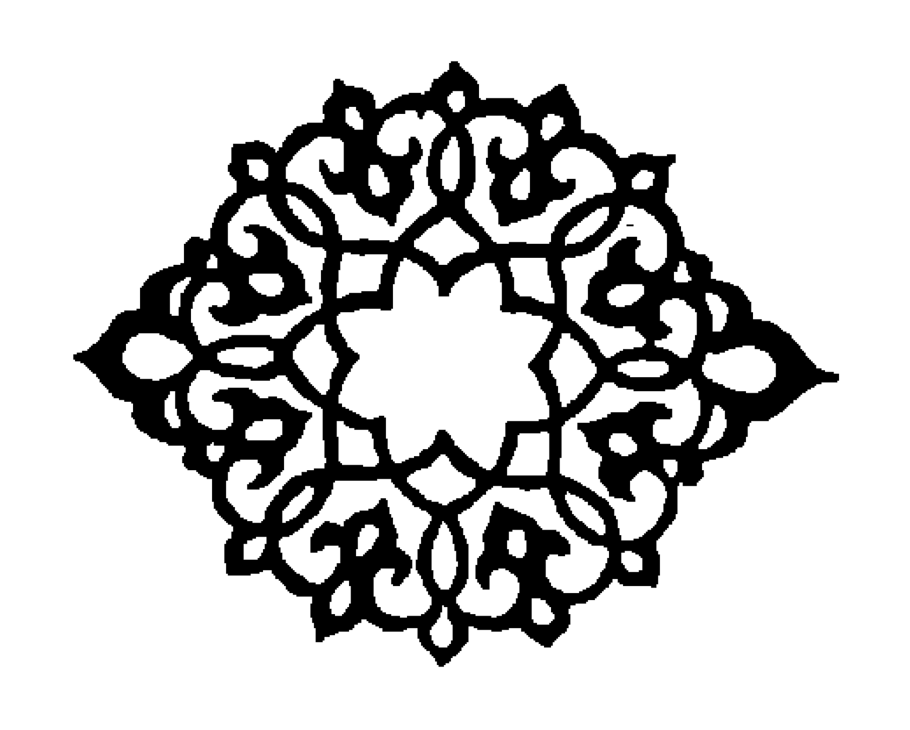
ونقول : الثابت فى أخبار الدعوة الإسلامية أن المسلمين كانوا هم ضحايا القسر والتعذيب قبل أن يقدروا على دفع الأذى من مشركى قريش فى مكة المكرمة فهجروا ديارهم وتقربوا من أهليهم حتى بلغوا الحبشة فى هجرتهم .

و لم يعمد المسلمون قط إلى القوة إلا لمحاربة القوة التى تصدهم عن الإقناع فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة ، وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء ؛ لذلك سالموا الحبشة و لم يحاربوها .

وقول المؤلف : «دفعتهم غيرتهم على الحق إلى حمل النبى على أن يرغم الناس بالقوة على الإسلام زاعمين أنهم بذلك يرضون الله » بعيد عن الصواب ؛ لأنهم لم يقاتلوا أعداءهم إلا بعد إذن من الله لهم بقتالهم ﴿ **أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ [الحج : ٣٩] ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] . . .

[ما اشتهر به المسلمون فى صدر الإسلام] :

إنَّ نشر الإسلام بطريق القوة[34] لم يرق البوذيين والمسيحيين المشهورين بالوداعة ، ولكن مع ذلك فإنَّ المسلمين اشتهروا فى صدر الإسلام بالزهد فى الدنيا الباطلة وطهارة السيرة والاستقامة والنزاهة حتى أدهشوا المحيطين بهم بما هم عليه من كرم الأخلاق ولين العريكة[35]، والوداعة .



(٣٤) هذه نظرة المستشرقين جميعا الذين أساءوا فهم الإسلام وكنا نود منهم أن يترفعوا عن هذا القول مع أنهم لو فهموا الآية الآتية لما رموا الإسلام بهذا ولا نبى الإسلام بأنه نشر الإسلام بالسيف والآية تقول ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنَّ الله يحب المتوكلين** ﴾ [سورة آل عمران الآية (١٥٩)]

(٣٥) العريكة : النفس والخلق .

الإسلام وحسن معاملة أصحاب الديانات الأخرى

ومن فضائل الدين الإسلامى أنه أوصى خيرا بالمسيحيين[٣٦] واليهود ولاسيما القساوسة[٣٧] الأوليين فقد أمر بحسن معاملتهم ومؤازرتهم حتى أباح هذا الدين لأتباعه بالتزوج من المسيحيات واليهوديات مع الترخيص لهن بالبقاء على دينهن ولا يخفى على أصحاب البصائر النيرة ما فى هذا من التسامح العظيم .

[كلمة إنصاف من تولستوى للنبى] :

ومما لا ريب فيه أن النبى محمداً من عظام الرجال[٣٨] المصلحين الذين خدموا الهيئة الإجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى

---

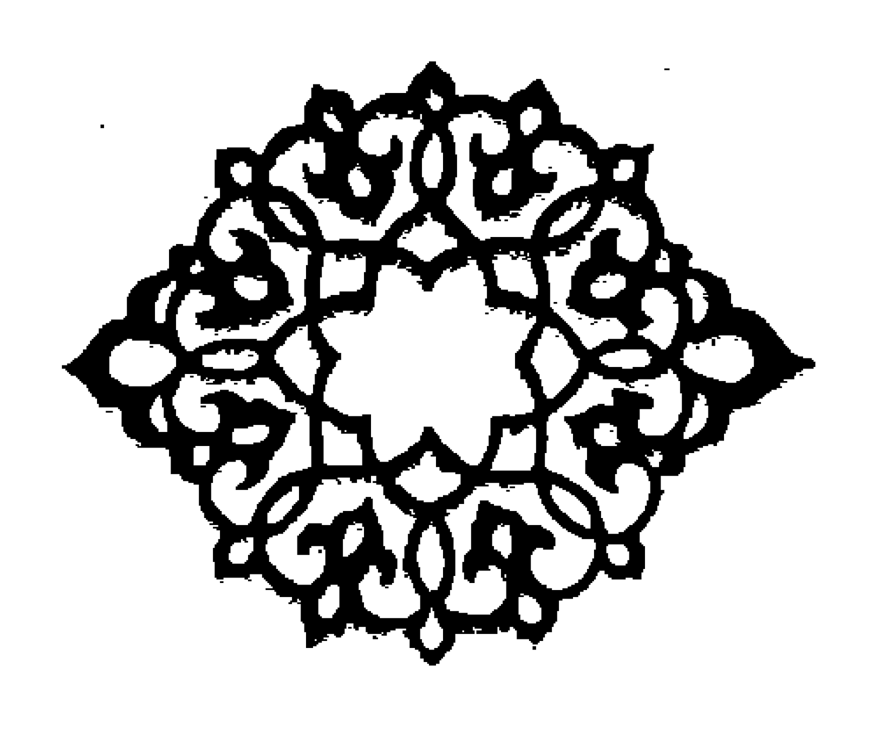
(٣٦) قال تعالى : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [المائدة - ٨٢]

(٣٧) قال تعالى عن القساوسة والرهبان : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [المائدة : ٨٣]

(٣٨) يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

يُعدُّ سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم شخصية فى التاريخ الإنسانى والبشرى بصفة عامة . يكفيه فخرا أن يختم الله به الرسالات ويكفيه فخرا أن يكون سيد ولد آدم وسيد ولد عدنان وسيد قريش . ويكفيه فخرا أن يكون الله خالق السماوات والأرض هو الحافظ لكتابه فقال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] =

نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام ، وتفضل عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرق والمدنية وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتى قوة ، ورجل مثل هذا جديرٌ بالاحترام والإكرام .



= * إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو النموذج الذى لا يتكرر ؛ لأنه أدبه ربه فأحسن تأديبه وعلمه ما لم يكن يعلم . وزكاه فقال : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

* وربما يكون فى كلام تولستوى عدم الاعتراف منه برسالة سيدنا محمد وما قوله بمضيع للحقيقة ، فهو لا يستطيع أن يحجب نور الشمس إنما الحق واضح وطريقه ظاهر .



الأحاديث النبوية

(١) « **اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك** »[٣٩].

(٢) « **قل الحق وإن كان مرا** »[٤٠].

(٣)« **انصر أخاك ظالماً أو مظلوما** » فقال رجل : يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ فقال : **تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه** »[٤١].

---

(٣٩) كنز العمال (٢/١٧٩) رقم ٣٦٣٢

وجامع الترمذي ٤٩ كتاب الدعوات الباب رقم (٧١٤) الحديث رقم (٣٤٩١)

رواه من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : «**اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حُبُّهُ عندك . اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوةً لي فيما تُحب . اللهم وما زويت عني مما أُحب فاجعله قوة لي فيما تُحب** » . قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن غريب وأبو جعفر الخطمي اسمه عُمير ابن يزيد بن خُماشة .

(٤٠) وهو من حديث طويل ذكره صاحب كنز العمال (١٦/١٣١) رقم ٤٤١٥٨

وفيه ينصح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر وعزاه صاحب الكنز لأبي نعيم في الحلية وابن حبان في صحيحه وابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٤١) في معجم ألفاظ الحديث عزاه للبخاري مظالم والأربعة ، إكراه ٧

والترمذي فتن ٦٨ ، والدارمي رقاق ٤٠ .

وأحمد بن حنبل (٣/٩٩ ، ٢٠١) .

قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص١٠٢) رقم الحديث (١٩٧) : رواه البخاري من جهة معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس مرفوعا وبقيته قال : يا رسول الله هذا ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما ؟ قال : «**يأخذ فوق يديه**» وفي لفظ غيره : «**يمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه**» ...

والحديث عند مسلم من وجه آخر وفيه بيان سببه فرواه في الأدب من حديث زهير عن أبي الزبير عن جابر قال اقتتل غلامان : غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجري : يا آل المهاجرين ونادى الأنصاري: يا آل الأنصار فخرج رسول الله – صلى =

(٤) « من جاء بالحسنة فَلَهُ عَشرُ أَمْثالها وأَزيدُ ومَنْ جاءَ بالسّيئةِ فجزاءُ سيئةٍ مِثْلها ، أَوْ أَغْفِرَ »[٤٢].

« ومَنْ تقربَ مني شبرا تقرّبت مِنْهُ ذراعا ومن تقرّب مني ذِراعا تقربتُ مِنْهُ باعًا »[أ]، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني [بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة][ب].

= الله عليه وسلم – فقال : «ما هذا دعوى أهل الجاهلية» قالوا : «يا رسول الله ألا إن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر» فقال : «لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، إنْ كانَ ظالما فلينهه فإنَّهُ له نصر وإن كان مظلوما فلينصره» .

(٤٢) قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ [سورة الأنعام الآية – ١٦٠]

أخرجه أحمد (٤٨٠/٤١٣/٢٥١/٢) ومسلم (٢١٠٢/٤) وابن ماجه (٣٨٢٢) وابن مردويه والبيهقى جميعا بلفظ عن أبي ذر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول الله عز وجل : « من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة »

[الدُّر المنثور للسيوطى (٦٤/٣)]

(أ) * ذكر هذا الجزء الإمام البخارى فى كتابه الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل – رقمه (٣٣٣) ص١٢٨ وذكر الحديث الإمام البخارى فى صحيحه . (٤٨٣/١٣) (فتح البارى) وابن منده فى الرّد على الجهمية ص٩٣ وأبو نعيم فى الحلية (٢٧/٩) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٢٨٤) كلهم من طريق الأعمش عن أبى صالح به .

وللحديث طرق أخرى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى . وأبى ذر – وأخرجه البخارى فى صحيحه (٥١١/٣ – ٥١٢ فتح) وابن منده فى التوحيد (ق١٠٠/١) .

(ب) ما بين المعكوفتين أخرجه أحمد (١٤٨/٥ ، ١٧٢) والحاكم (٢٤١/٤) كلاهما من طريق أبى ذر بأسانيد جيدة .

وأخرجه الترمذى (٣٥٤٠) من حديث أنس وحسّنَهُ وذكره البخارى فى الرد على الجهمية ص١٣٠ رقم (٣٤١) .

(٥) « اللهم أحيني مسكينا ، وتوفني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين »[٤٣].

(٦) « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[٤٤].

(٧) « حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وَالنَّارُ بالشهواتِ »[٤٥].

(٤٣) رواه ابن ماجه من حديث أبي خالد الأحمر عن يزيد بن سنان عن ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري قال : أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : في دعائه وذكره .

ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أبي فروة يزيد محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثني أبي عن أبيه هو يزيد بن سنان عن عطاء بدون واسطة بن يزيد وعطاء وبدون قول أبي سعيد وبلفظ : «وتوفني» ويزيد بن سنان ضعيف عندهم لكن قد رواه الطبراني أيضا من جهة خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بلفظ : « **اللهم توفني إليك فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة** » وخالد الأكثر على تضعيفه وكان الحاكم اعتمد توثيقه فإنَّهُ قد أخرج هذا الحديث من جهته في الرقاق من مستدركه بزيادة «**وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**» وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وكذا رواه البيهقي في الشعب بلفظ : «**يأيها الناس لا يحملنكم العسر على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم**» يقول : وذكره بالزيادة وهو عند أبي الشيخ ومن جهته الديلمي بدون قول أبي سعيد وله شواهد ساقها السخاوي في « المقاصد الحسنة ص٨٤ رقم الحديث ١٦٦ »

٦ - حديث صحيح

أخرجه البخاري (١/ ١٠ ط الشعب)

ومسلم كتاب الإيمان باب (١٧) رقم (١٧)

والترمذي (٤/٥٧٥) ٣٨ - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب (٥٩) رقم الحديث (٢٥١٥) وقال : هذا حديث صحيح

وأخرجه النسائي (٨/١١٥ ، ١٢٥) والإمام أحمد (٣/١٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨)

وأخرجه الدارمي (٢/٣٠٧) والبغوي في شرح السنة (١٣/٦٧) .

(٤٥) الترمذي (٥٥٢) وأحمد بن حنبل في المسند (٢/٢٦٠) ، (٢/٣٠٨ ، ٣/١٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٨٤) ، والدارمي (٢/٣٣٩) وشرح السنة للبغوي (١٤/٣٠٦) والإتحاف (٨/٢٢٦) . والكامل لابن عدى (٥/١٧٩٦) (٧/٢٦٦١) والبداية والنهاية (١٢/١٣) وكشف الخفاء (١/٤١٦) والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٧٤)

وكنز العمال (٦٨٠٥) وتفسير القرطبي (٤/٢٨) والمغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء للعراقي (٤/٥٧) وتاريخ بغداد للخطيب (٤/١٨٤) .

(٨) « الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّنٌ »[٤٦].

(٩) « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[٤٧].

(١٠) سأل رجل النبى ﷺ أى الإسلام خير ؟ قال : « **أَنْ تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** »[٤٨].

(١١) « **لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب** »[٤٩].

---

(٤٦) **«الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات»** . البخارى (١/٢٠٠) سنن ابن ماجه رقم (٣٩٨٤) والدارمى (٢/٢٤٥) وشرح السنة للبغوى (٨/١) وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٦/٤٠) والقرطبى (٢/٥٨) وحديث **«الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهة»** .

البخارى (٣٠/٧) ومجمع الزوائد (٤/٥٧٣) وفتح البارى (٤/٢٩٠) والعلل المتناهية ١٨٨٧/ ١٩٢٣ والبيهقى فى السنن الكبرى (٩/٣٢٠) .

(٤٧) رواه البخارى فى الأدب المفرد بلفظ **«من لا يرحم لا يرحم»** رقم الحديث ٩٥ ص٤٩ ، **«لا يرحم الله من لا يرحم الناس»** رقم الحديث ٩٦ ص٥٠ **«ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله»** رقم الحديث ٩٧ ص٥٠ .

وأبو داود والترمذى ٢٨ – كتاب البر والصلة الباب ١٦ باب ما جاء فى رحمة المسلمين – رقم الحديث ١٩٢٤ وقال الترمذى : أنه حسن صحيح وصححه الحاكم .

(٤٨) قال السخاوى ومن شواهده ما رواه أحمد وعبد فى مسنديهما والطبرانى وآخرون من طريق حبان بن زيد الشرعى عن عبد الله بن عمر مرفوعا **«ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم»** إلى غيره . [المقاصد الحسنة ص٤٨ رقم الحديث ٨٨] .

قال العجلونى فى كشف الخفاء ص١١٩ رقم الحديث ٣١٤ « روى الشيخان فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد بلفظ : **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»** .

(٤٩) إتحاف السادة المتقين ٣٨٧/٧ وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٧٢١) والمغنى عن حمل الأسفار بهامش الإحياء للعراق (٣/٨٧٨) .

الترغيب والترهيب (١/٧٥) .

(١٢) « كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفونى »[٥٠].

(١٣) « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين وحفظُ اللسانِ »[٥١].

(١٤) « أيما امرأة استعطرت ، ثُمَّ خرجت فمَرّت بقوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية » (فى النار)[٥٢].

(١٥) « الجليسُ الصالحُ خيرٌ مِنَ الوحدةِ ، والوحدة خيرٌ مِن جليس السوء ، وإملاء الخير خير من السكوت ، والسكوت خير من إملاء الشر »[٥٣].

---

(٥٠) الأسرار المرفوعة للقارى (٧٣) ، تذكرة الموضوعات للفتنى (١١) ، كشف الخفاء للعجلونى (١٩١/٢) رقم الحديث (٢٠١٦) ، تنزيه الشريعة (٨/١) .

قال ابن تيمية : إنه ليس من كلام النبى – صلى الله عليه وسلم – ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشى والحافظ ابن حجر والسيوطى فى اللآلى المصنوعة .

وقال القارى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ – أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما ..

قال الأبيارى فى حاشيته على مقدمة القسطلانى هـ (١٦) « إنه باطل لا أصل له » . [المقاصد الحسنة ص٣٢٧ ، رقم ٨٣٨] .

(٥١) مجمع الزوائد (٨٠/٨) المطالب العالية (٢٦/٤) .

الترغيب والترهيب (٤٨٩/٣) ، إتحاف السادة المتقين (٢٦٧/٦)

المغنى عن حمل الأسفار بهامش الإحياء (١٩١/٢) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢٩٥/٣) ، والدر المنثور (٢٢٢/٢) ، وكنز العمال (٥٤٨٣) ، ونصب الراية (٣٥٥/٤) .

(٥٢) جاء فى مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤٦/٢) «**أيما امرأة خرجت من بيتها متطيبة تريد المسجد لم يقبل الله لها صلاة**» .

(٥٣) إتحاف السادة المتقين (٣٠٣/٦ ، ٣٥٣) .

(١٦) « **زنا العين النظر ، وزنا النفس المنطق ، والنفس تتمنى وتشتهى** »[٥٤].

(١٧) « **مَنْ كَظَمَ غيظاً وَهُو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً** »[٥٥].

(١٨) « **القبر أول منزلة مِنْ منازل الآخرة** »[٥٦].

(١٩) « **أفضل الجهاد مَنْ جَاهَدَ نفسه فى ذاتِ الله** »[٥٧].

---

(٥٤) صحيح مسلم كتاب (٤٦) القدر - ٢٠٤٦/٤ رقم الحديث ٢٦٥٧ ورقمه فى البخارى ٢٣٤٢ ومجمع الزوائد (٢٥٦/٦) ، وإتحاف السادة المتقين ٣٢١/٥ ، والدُّر المنثور (٥٤١/٥) ، (١٢٧/٦) ، وكنز العمال (١٣٠٥٥) ، وفتح البارى (٢٦/١١) ، (٥٠٣/١١) والمطالب العالية لابن حجر (١٥٢٩) ، إرواء الغليل (٣٧/٨) ، وطبقات ابن سعد (٥٤/٧) ، وكشف الخفاء للعجلونى (٥٣٣/١) ، وأحمد بن حنبل فى المسند (٥٣٦/٢) .

(٥٥) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر جميعا عن أبى هريرة .
[الدُّر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٧٢/٢ ، ٧٣)]
(عند تفسير سورة آل عمران الآية (١٣٤)) .

(٥٦) لم أقف عليه فى المراجع التى عندى .
والذى فى جمع الجوامع للسيوطى (٤٣٥/١) مخطوط « **القبر حفرة من جهنم أو روضة من رياض الجنة** » . وعزاه للبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن ابن عمر .

(٥٧) إتحاف السادة المتقين ٢٥٤/٦ وذكر البيهقى فى كتابه الزهد حديث رقم ٣٧٠ من طريق فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **المجاهد مَنْ جاهد نفسه** » .
روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **أى العمل أفضل ؟ قال إيمان بالله ورسوله قيل : ثُمّ ماذا ؟ قَالَ : الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثُم مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُوُرٌ** » .
رَوَاهُ البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه ولفظه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :- « **أفضل الأعمال عند الله إيمان لاشك فيه وغَزْوٌ لا غلُولَ فيه وحَجّ مبرورٌ** » .
الترغيب والترهيب للمنذرى (١٧٢/٢) .

(٢٠) « إنَّ الرجل إذا دخل فى صلاته أَقْبَلَ الله عليهِ بوجهه »[٥٨].

(٢١) « إنَّ الله تعالى يحب أنْ يرى عَبْدَهُ سَاعياً فى طلب الحلال »[٥٩].

(٢٢) « مَنْ يصبرُ عَلَى الرَّزية يُعوضهُ الله »[٦٠].

(٢٣) « آفةُ الدينِ ثلاثةٌ: فقيهٌ فاجرٌ . وإمَامٌ جَائرٌ ومجتهدٌ جَاهِلٌ »[٦١].

(٢٤) « إنَّما النِّساءَ شقائقُ الرِّجَالَ »[٦٢].

(٢٥) « آفةُ العِلم النسيان وإضاعته أنْ تُحدِّثَ بِهِ غَيرُ أَهْلِهِ »[٦٣].

---

(٥٨) لم أجده فى المراجع التى لدى .

(٥٩) عزاه السيوطى فى جمع الجوامع (١٨٤/١) مخطوط إلى الديلمى مسند الفردوس رقم (٥٦٧) عن على ورواه بلفظ :

« إنَّ اللَه يُحبُ أن يرى عبده تعبًا فى طلب الحلال » .

وأورده النبهانى فى دليل التجار ص١٢ رقم (١٢٧) بتحقيقى نشر مكتبة التراث الإسلامى ، وعَلَقت عليه قائلاً : قال الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين — فيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى : متروك .

(٦٠) الدُّر المنثور فى التفسير بالمأثور (٢٢٥/٢) .

(٦١) كشف الخفاء للعجلونى (١٧/١) كنز العمال (٢٨٩٥٤)

جمع الجوامع للسِّيوطى (١٢٢) .

(٦٢) سنن أبى داود الباب (٩٤)

ومسند أحمد بن حنبل (٥٩/٦) ، والسنن الكبرى للبيهقى (١٦٨/١) .

وكنز العمال (٤٥٥٥٩) . والتمهيد لابن عبد البر (٣٣٧/٨) .

والزهد لابن المبارك (٦٣) ، وكشف الخفاء للعجلونى (٢٤٨/١) رقم الحديث (٦٤٩) ، وعزاه أيضاً للترمذى والبزار عن أنس . قال ابن القطان : هو من طريق عائشة ضعيف ومن طريق أنس صحيح .

(٦٣) مسند الشهاب للقضاعى (١٤) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٠٨/١) والجامع الكبير للسيوطى (١٨٣/٢) ، (٣٧٠/٢) وكنز العمال (٢٨٩٦٠) ، (٤٤٠٩١) — (٤٤١٢١) ، ومشكاة المصابيح للتبريزى (٢٦٥) ، وجمع الجوامع للسيوطى ٢٣ ، ٢٤ ، وسنن الدارمى (١٥٠/١) وإتحاف السادة المتقين (٣٦٨/٨) (٣١٥٢/١) وتذكرة الموضوعات للفتنى (٧٢) .

(٢٦) « الدُّنيا مَتَاعٌ وَخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصالحةُ »[٦٤].

(٢٧) « الكذبُ مُجَانِب للإيمانِ »[٦٥].

(٢٨) « اعقلها وتوكل »[٦٦].

---

(٦٤) أخرجه مسلم ١٧ كتاب الرضاع (١٧) باب خير متاع الدُّنيا المرأةُ الصالحة (١٠٩٠/٢) رقم الحديث (٦٤) – (١٤٦٧) . وعزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة إلى النسائى وابن ماجه وغيرهما أيضاً .

وأضاف العجلونى فى كشف الخفاء (٤٩٥/١) إلى ما سبق ذكرهم من الذين خرجوا الحديث الإمام أحمد .

وأنظر الترغيب والترهيب (٤١/٣) والدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة للسيوطى (٨٤) والمغنى عن حمل الأسفار بهامش الإحياء للعراق (١٠١/٤) .

(٦٥) قال العجلونى فى كشف الخفاء (١٥٩/١) رقم (١٩٢١) رواه ابن عدى عن أبى بكر مرفوعا بلفظ **«إياكم والكذب فإنَّهُ مجانب للإيمان»** وهو ضعيف قال الدارقطنى فى العلل : رفعه بعضهم ووقفه آخرون وهو أصح .

ولمالك فى الموطأ عن صفوان بن سليم مرسلا أو مفصلا **«قيل يا رسول الله المؤمن يكون جباناً ؟»** قال : **«نعم»** ، قيل يكون بخيلاً ؟ قال : **«نعم»** قيل يكون كذابا ؟ قال : **«لا»** . ولابن عبد البر فى [التمهيد] عن عبد الله بن مراد أنه سئل النبى – صلى الله عليه وسلم – هل يزنى المؤمن ؟ قال : **«قد يكون ذلك»** قال هل يكذب ؟ قال : **«لا»** .

ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب .

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٣١٤ رقم الحديث (٧٩٦) .

وروى نحوه ما للبزار وأبى يعلى فى مسنديهما عن سعد ابن أبى وقاص رفعه .... وأمثلها حديث سعد لكن ضعف البيهقى رفعه وقال الدارقطنى الموقوف أشبه بالصواب انتهى .

ثم قال السخاوى : ومع ذلك فهو مما يحكم له بالرفع على الصحيح لكونه مما لا مجال للرأى فيه .

(٦٦) الحديث : حسن .

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة رقم (١٢٨) رواه الترمذى فى الزهد (١٢٥/١) وفى العلل ، والبيهقى فى الشعب ، وأبو نعيم فى الحلية ، وابن أبى الدنيا فى التوكل من حديث المغيرة بن أبى قرة السدوسى سمعت أنسًا يقول : قال رجل يا رسول الله : أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : **«أعقلها وتوكل يعنى الناقة»** . =

(٢٩) « لا عبادة كالتفكر »[٦٧].

(٣٠) « حبك للشيء يُعمى ويصم »[٦٨].

= وقال الترمذي : وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه وإنما انكره القطان من حديث أنس وقد روى عن عمرو بن أمية الضمرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه يشير إلى ما أخرجه ابن حبان فى صحيحه .... ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب وجعلا فى روايتهما القائل عمراً نفسه وكذا عند أبى القاسم بن بشران فى أعاليه وأخرجه البيهقى كذلك من حديث جعفر لكنه مرسلاً .

قال : قال عمرو بن أمية يا رسول الله وذكره وهو عند الطبرانى من حديث أبى هريرة بلفظ «قيدها وتوكل» .

وانظر كشف الخفاء للعجلونى (١٦١/١) رقم الحديث (٤١٨)

وحلية الأولياء (٣٩٠/٨) ، تاريخ بغداد (٣٩٠/٨) وصحيح الجامع (١٠٧٩) ، الجامع (١١٩١) وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد مرتين الأوّل (٢٩٤/١٠) .

وقال : رواه الطبرانى إسنادين وفى إسنادهما عمرو بن أمية ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

والثانية : (٣٠٦/١٠) وقال : رواه الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية وهو ثقة .

(٦٧) حديث ضعيف .

مجمع الزوائد (٢٨٣/١٠) وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢١/٤) وهو جزء من حديث طويل عزاه الهيثمى للطبرانى وفيه أبو رجاء الحنطى واسمه محمد بن عبد الله وهو كذاب .

(٦٨) الحديث مرفوع .

إتحاف السادة المتقين (٢٧٦/٧) ، (٦٨٥/٩) ومشكاة المصابيح للتبريزى (٤٩٠٨) ، الجامع (٣٦٦٩) ، وصحيح الجامع (٣١١٩) ، والمقاصد الحسنة (٣٨٠) والأسرار (١٦٠) والمسند للإمام أحمد بن حنبل (١٩٤/٥) .

قال السخاوى فى « المقاصد الحسنة » رواه أبو داود والعسكرى عن أبى الدرداء مرفوعاً وموقوفاً ، والوقف أشبه ، وفى سنده ابن ابى مريم فوقفه ، والرفع أكثر ، ولم يصب الصغانى حيث حكم عليه بالوضع ، وكذا قال العراق : إن ابن أبى مريم لم يتهمه أحد بكذب إنما سُرِقَ حُلِيّ فانكر عقله وقال الحافظ ابن حجر تبعا للعراق ، ويكفينا سكوت أبى داود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف فهو حسن .

(٣١) « **لا يكمل إيمان المرء حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه** »[٦٩].

(٣٢) « **أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :** »

« **ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ** »[٧٠].

---

(٦٩) فى صحيح الإمام مسلم (٦٧/١) ٧١ - (٤٥) من طريق أنس بن مالك « **يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه** » أو قال لجاره «ما يحب لنفسه » .

(٧٠) الحديث صحيح .

روى هذا البيت والحديث الإمامان الجليلان البخارى ومسلم ٤١ كتاب الشعر رقم ٢٢٥٦ (١٧٦٨/٤) فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيءٌ ما خلا الله باطل** .

وفى رواية لهما « **أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ... إلخ** » .

وقد روى بألفاظ مختلفة . منها « **إنّ أصدق كلمة ...** » ومنها « **إن أصدق بيت قاله الشاعر ...** » ومنها « **أصدق بيت قالته الشعراء ...** » وكلها فى الصحيح ومنها : « **أشعر كلمة قالتها العرب ...** » .

قال ابن مالك فى « شرح التسهيل » وكلها من وصف المعانى بما يوصف به الأعيان كقولهم شعر شاعر ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال : شعرك أشعر من شعره .

وروى ابن إسحاق فى مغازيه أنّ عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - مرّ بمجلس من قريش فى صدر الإسلام ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقت فقال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائلُ

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول أبداً فقال لبيد : يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل إنَّ هذا سفيه من سفهائنا قد فارق ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها « قطعها » فقال الوليد بن المغيرة لعثمان : إنْ كانت عينك لغنية عمّا أصابها لم رددت جوارى !

فقال عثمان : بل والله إنَّ عينى الصحيحة لفقيرة لمثل ما أصاب أختها فى الله ولا حاجة لى فى جوارك .

وروى أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد* : إن لبيداً قدم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : =

= ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال صدقت قال : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال : كذبت عند الله نعيم لا يزول ، فلما ولى قال أبو بكر رضى الله عنه ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة .

* وأخرج السّلفى فى المشيخة البغدادية من طريق هاشم عن يعلى عن ابن جراد قال انشد لبيد النبى ﷺ قوله ألا كل شيء ماخلا الله باطل فقال له : «صدقت» . فقال : وكل نعيم لا محالة زائل . فقال له «كذبت . نعيم الآخرة لا يزول» .

واعتذر العينى عن لبيد فى عمدة القارىء بشرح صحيح البخارى وأجاب من وجهين .

الأول : أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أنْ يسلم فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت إنَّ الجنة لا وجود لها أو كان يعتقد وجودها ولكن لا يعتقد دوامها كما ذهبت إليه طائفة من أهل الأهواء والضلال . .

الثانى : أنه يمكن أن يكون أراد به ما سوى الجنة من نعيم الدنيا لأنه كان فى صدد ذم الدنيا وبيان سرعة زوالها وأما تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم . إنتهى .

* وهذا البيت من قصيدة أزيد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصحابى رضى الله عنه رثى بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة .. وأولها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول	أنحب فيقضى أم ضلال وباطلُ
حبائله مبثوثة فى سبيله	ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل
إذا المرء أسرى ليلة خال أنه	قضى عملا والمرء ما عاش عامل
فقولا له إن كان يقسم أمره	ألما يعظك الدهر أمُّك هابل
فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضى	ولا أنت مما تحذر النفس وائلُ
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب	لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان باقياً	ودون معد فلتزعك العواذل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم	بلى كل ذى رأى إلى الله واسل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم	دُويهية تصفُّر منها الأنامل
وكل أمرىءٍ يوماً سيعلم سعيه	إذا كشفت عند الإله الحصائل

(خزانة الأدب) للبغدادى ط الخانجى

تحقيق عبد السلام محمد هارون (٢/٢٥٢ ومابعدها) .

* خطأ وإنما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد بن حنبل وكتاب الزهد لوالده أحمد بن حنبل كشف الظنون (٢/٢٧٩) .

(٣٣) « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « لله إصلاح ذات البين »[٧١].

(٣٤) « إن أول خلق خلقه الله [عز وجل] العقل . فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر . فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا هو أحبُّ إلّى منْك بكَ أعطى وبِكَ أثيب وبك أعَاقبُ »[٧٢].

(٣٥) « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب »[٧٣].

(٣٦) « ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس »[٧٤].

---

(٧١) أبو داود فى الأدب ٥٧ والترمذى (٢٥٠٩) وأحمد بن حنبل فى المسند (٦/٤٤٤) والترغيب والترهيب للمنذرى (٣/٤٨٨) وتفسير ابن كثير (٢/٣٦٥) والبغوى (١/٥٩٧) ونصب الراية للزيلعى ٤/٣٥٤ وشرح السنة للبغوى (١٣/١١٦) ومشكاة المصابيح للتبريزى (٥٠٣٨) وإتحاف السادة المتقين (٦/٢٦٧) والدُّر المنثور (٢/٢٢٢) وكنز العمال (٥٤٨٠) ومصنف ابن أبى شيبة (٢/٣٨٦) .

(٧٢) إتحاف السادة المتقين (١/٤٥٣) واللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة (١/٦٨) .

(٧٣) قال العجلونى فى « كشف الخفاء » (٢/٢٣٨) متفق عليه عن أبى هريرة ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ «**ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه**» ورواه العسكرى عن أبى هريرة بلفظ «**ليس الشديد الذى يغلب الناس ولكن الشديد من يملك نفسه**» .

(٧٤) ذكر هذا الحديث الإمام عبد الرحمن بن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٣٢٢) ولفظه من طريق عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «**أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد النَّاس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس وارضى بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس**» .

قال الدارقطنى : رفعه وهم والصحيح أنه من قول ابن مسعود وجاء فى هامش العلل . أخرجه ابن عدى كما فى الجامع الصغير ص١٣ ج

(٣٧) « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال فلينظر إلى من هو أسفل منه »(٧٥).

(٣٨) « دخل عمر على رسول الله وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال يا نبى الله لو اتخذت فراشا . فقال مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا إلّا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها »(٧٦).

(٣٩) « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله الله عليه »(٧٧).

(٤٠) « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إنى أحبك قال أنظر ما تقول . فقال : إنى والله لأحبك ثلاث مرات . قال : إن كنت صادقا فاعدُ محفافًا للفقر أسرع إلى من يحبنى من السيل منتهاه »(٧٨).

---

(٧٥) أخرجه البخارى (١٢٨/٨) ومسلم فى الزهد .

وأحمد بن حنبل (٣١٤/٢) ومشكاة المصابيح للتبريزى ٥٢٤٢ وعلل الحديث لابن أبى حاتم (١٨٢١) وتنزيه الشريعة للكنانى (٣٩١/٢) وابن عساكر فى مختصر تاريخ دمشق (١٧/٣) ، (٨٥/٨) وإتحاف السادة المتقين (١٧٠/٨) ، (١٣٢/٩) وكنز العمال (٦٠٩٣) ، (٦٤٢٢) .

(٧٦) ولفظ الحديث كما ذكره الإمام السيوطى فى الدر المنثور (٣٠١/٦) أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو راقد على حصير من جريد قد أثر فى جنبه فبكى عمر فقال : **«ما يبكيك ؟»** فقال : ذكرت كسرى وملكه وقيصر وملكه وصاحب الحبشة وملكه وأنت رسول الله على حصير من جريد فقال **«أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة»** فأنزل الله : ﴿ **وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً** ﴾ [سورة الإنسان الآية ٢٠]

(٧٧) حديث حسن .

الترمذى (٢٥١٢) قال الترمذى : حديث حسن غريب ، مشكاة المصابيح للتبريزى (٥٢٠٦) ، الدر المنثور للسيوطى (١٥٤/١) ، شرح السنة للبغوى (٢٩٤/١٤) ، عمل اليوم والليلة لابن السنى (٣٠٤) ، كنز العمال (٦٤٢٣) ، الشكر لابن أبى الدنيا (٣) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٤/٢) .

(٧٨) لم أقف عليه .

(٤١) « ليردك عن الناس ما تعلم من نفسك »[٧٩].

(٤٢) « امش ميلا عد مريضا . وامش ميلين أصلح بين اثنين وأمط الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة »[٨٠].

(٤٣) « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط إياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله وإن إمرأ شتمك وعيّرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن أحداً »[٨١].

(٤٤) قدم على النبى ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسقى . إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال النبى : « **أترون هذه طارحة ولدها فى النار** » قلنا لا وهى تقدر على أن لا تطرحه . فقال : « **الله أرحم بعباده من هذه بولدها** »[٨٢].

(٤٥) « من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة »[٨٣].

---

(٧٩) لم أجده .

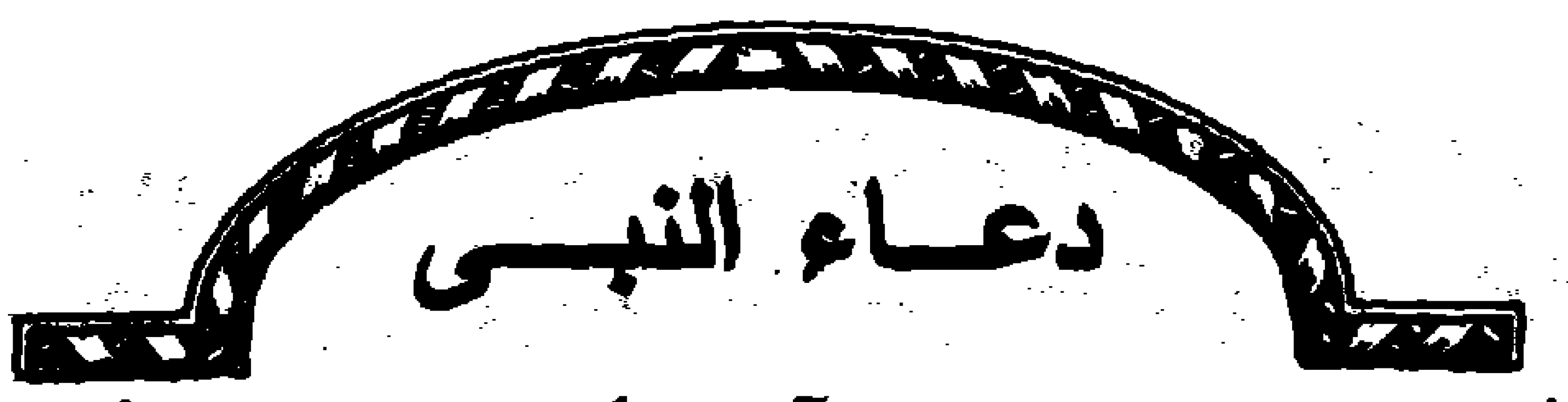
(٨٠) ذكره السيوطى فى جمع الجوامع [مخطوط (١٥٣)] بلفظ « **امش ميلا امش ميلين اصلح بين اثنين امش ثلاثة أميال زرأخاً فى الله** » .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان عن مكحول مرسلا .

وكذا ذكره فى الجامع الصغير (٦٧/١) ط مصطفى الحلبى الطبعة الخامسة .

(٨١) المسند للإمام أحمد بن حنبل (٦٣/٥) والطبرانى فى المعجم الكبير (٧٢/٧) وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى (٧٧٠) . والترغيب والترهيب (١١٤٨) عن جابر بن سليم .

(٨٢) و(٨٣) لم أقف عليهما فى المظان التى عندى .



دعـــاء النبـــى

(٤٦) « يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، إغفر لى ذنوبى ، وأصلح لى شأنى ، وفرّج لى همى برحمتك »(٨٤).

(٤٧) « اغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم . اللهم أحرسنى بعينك التى لا تنام ، واكنفنى بركنك الذى لا يرام ، وارحمنى بقدرتك على ؛ فلا أهلك ، وأنت رجائى ، فكم من نعمة أنعمت بها على ، قلّ لك عندها شكرى ، وكم من بلية ابتليتنى بها ، قلّ لك عندها صبرى ، ياذا المعروف الذى لا ينقضى أبداً ، وياذا النعماء التى لا تحصى عددا ، نجنى مما أنا فيه ، وأعنى على ما أنا عليه ، مما قد نزل بى بجاه وجهك الكريم »(٨٥).

(٤٨) قال النبى وحوله عصابة من أتباعه : تعالوا بايعونى ، على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم ، وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفّى منكم فأجره على الله »(٨٦).

---

(٨٤) طبقات الشافعية الكبرى لابن سعد ٢/١/١٧ والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٧٦) وإتحاف (١/١١١) وكشف الخفاء للعجلونى (١/٤٤٨) .

(٨٥) لم أقف عليه فى المراجع التى عندى .

(٨٦) قال الله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إنّ الله غفور رحيم ﴾ سورة الممتحنة الآية – ١٢ .

أخرج عبد بن حميد وابن مردويه والبخارى ومسلم .

والنسائى وابن المنذر عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : «بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا» وقرأ آية النساء «فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله إنْ شاء عذّبه وإنْ شاء غفر له» .

« الدر المنثور » للسيوطى (٦/٢٠٩) .

(٤٩) « سيأتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من الدين إلا رسمه تنزع الرحمة من قلوبهم وتقل مكاسب الحلال ويكثر الحرام »[٨٧].

(٥٠) « عفوا تعف نساؤكم »[٨٨].

(٥١) « علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه »[٨٩].

(٥٢) « ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد إلا في طلب العلم »[٩٠].

---

(٨٧) ذكر الغزالي حديث رسول الله ﷺ «سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب الذى يروغ» قيل له ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : «إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة» .

وانظر « الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة » « للملا القارى » ص ٤٨٤ .

(٨٨) رواه الطبرانى عن جابر والديلمى عن على مرفوعا : «لا تزنوا فتذهب لذة نسائكم» «إن بنى فلان زنوا فزنت نساؤهم» وفى الباب عن غيرهما وفى [البدر المنير] للشعرانى بلفظ «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم ابناؤكم» وغيره مرفوعاً وللعلامة المقرى .

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم	وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
يا هاتكا حُرم الرجال وتابعًا	طرق الفساد تعيش غير مكرم
من يزنِ فى قوم بألفي درهم	فى أهله يزنى بربع الدرهم
إن الزنا دين إذا اقرضته	كان الوفاء من أهل بيتك أعلم

[كشف الخفاء للعجلونى] (٧٩/٢) رقم الحديث (١٧٣٨) وانظر المقاصد الحسنة للسخاوى (ص٢٨٥) رقم الحديث (٦٩٧) .

(٨٩) فى فهرست ابن خير (٥) نص الحديث «العلم الذى يعمل به كالكنز الذى لا ينفق منه» .

(٩٠) كشف الخفاء للعجلونى (٢٣٤/٢ ، ٤٠٥) ، واللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى (١٠٢/١) ، وتنزيه الشريعة (٢٥/١) ، تذكرة الموضوعات للفتنى (٢٣) ، المغنى عن حمل الأسفار بهامش الإحياء للعراقى ٥٠/١ .

(٥٣) « زين الله السماء بثلاث : الشمس والقمر والكواكب ، وزين الأرض بثلاث بالعلماء والمطر وسلطان عادل »[٩١].

(٥٤) « العلم إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء »[٩٢].

(٥٥) « العالم إذا خرج من الدنيا كالمصباح يخرج من بيت مظلم »[٩٣].

(٥٦) « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب »[٩٤].

(٥٧) يقول الله عز وجل يوم القيامة : « يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب : كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟، أما أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال : يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي »[٩٥].

---

(٩١) لم أقف عليه فى مراجعى .

(٩٢) ، (٩٣) ، (٩٤) لم أقف عليها فى المراجع التي عندي .

(٩٥) عزاه الإمام النووى فى رياض الصالحين ص٢٧٨ رقم الحديث ٨٩٤ إلى الامام مسلم فى صحيحه .

(٥٨) « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك ، تموت غدا »[٩٦].

(٥٩) « من كذب فجر ومن فجر كفر ومن كفر دخل النار »[٩٧].

(٦٠) يقول الله تعالى : **« أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى [أتيت إليه] هرولة »[٩٨].**

(٦١) « من أخذ أموال النّاس يريد اتلافها أتلفه الله »[٩٩].

(٦٢) « على كل مسلم صدقة فمن لم يجد يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق فإن لم يجد يعين ذا الحاجة الملهوف فإن لم يجد فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة »[١٠٠].

---

(٩٦) ، (٩٧) لم أقف عليهما فى مراجعى . (٩٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٢٦/٢) .

(٩٨) حديث صحيح . حديث متفق عليه .

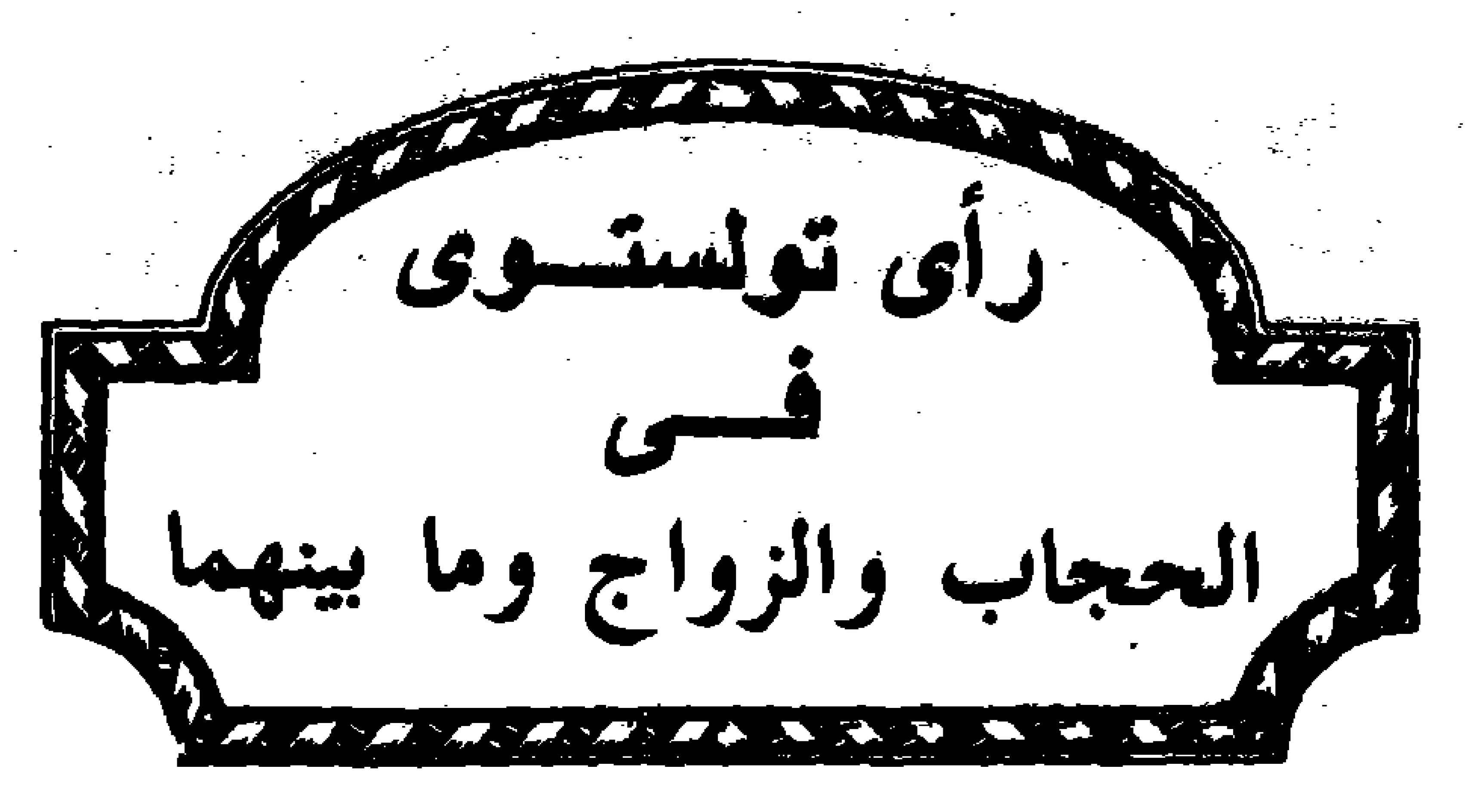
رياض الصالحين ص٣٩١ رقم ١٤٣٣ .

الحديث فى صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٦٨/٤) .

(٩٩) وتقرب الله إلى عبده مجازا لغويا والمقصود إنعامه على عبده وعفوه له ومغفرته لذنوبه وإدخاله جنته .

(١٠٠) حديث صحيح .

الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الزكاة (٦٩٩/٢) رقمه (٥) – (١٠٠٨) بلفظ : **« على كل مسلم صدقة »** قيل أرأيت إن لم يجد ، قال **« يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق »** . قال قيل : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : **« يعين ذا الحاجة الملهوف »** . قال قيل له : أرأيت إن لم يستطع قال : **« يأمر بالمعروف أو الخير »** قال : أرأيت إن لم يفعل قال : **« يمسك عن الشر فإنها صدقة »** .



رأى تولستوى فى الحجاب والزواج وما بينهما

قال الفيلسوف فى [الطلاق والحجاب][101]: « إن السبب فى مسألة الطلاق التى تشغل الآن الرأى العام فى أوربا هو التمدن[102] الذى لم يقتبس الإنسان منه سوى الحمق والخلاعة هذا هو السبب الحقيقى فى ازدياد الطلاق نمواً كل يوم .

فلا يمضى على زواج امرأة برجل ردحا[103] من الزمن حتى تقول له حاذر أن أتركك وأمضى إلى حال سبيلى . سرى ذلك من الربوع[104] العالية فى المدن إلى أكواخ الفلاحين . فالفلاحة لأقل شىء تقول لزوجها خذ قمصانك وسراويلك[105] لأنى تاركة لك وذاهبة مع حبيبى يوسف[106] الذى يفوقك حسنًا وبهاءا » .

---

(١٠١) مابين المعكوفتين من وضع المترجم .

(١٠٢) إن التمدن الذى حدث فى أوربا كان بسبب الثورة الصناعية التى حدثت فى أواخر القرن الثامن عشر وللأسف كان تمردا على الدين ويرجع ذلك كما هو معروف بسبب معاداة رجال الدين المسيحى على الأخص فى أوربا لرجال العلم .

تعليق المحقق على آراء تولستوى

هذه الآراء التى قالها تولستوى فى بعضها ما يوافق الإسلام وفى بعضها ما يخالف الإسلام وعند المخالفة تكون التبعة على المؤلف وليست على المترجم ولا على المحقق والأمانة العلمية تقتضى منا نشر كلام المؤلف وبيان رأى الإسلام عندما يخالفنا .

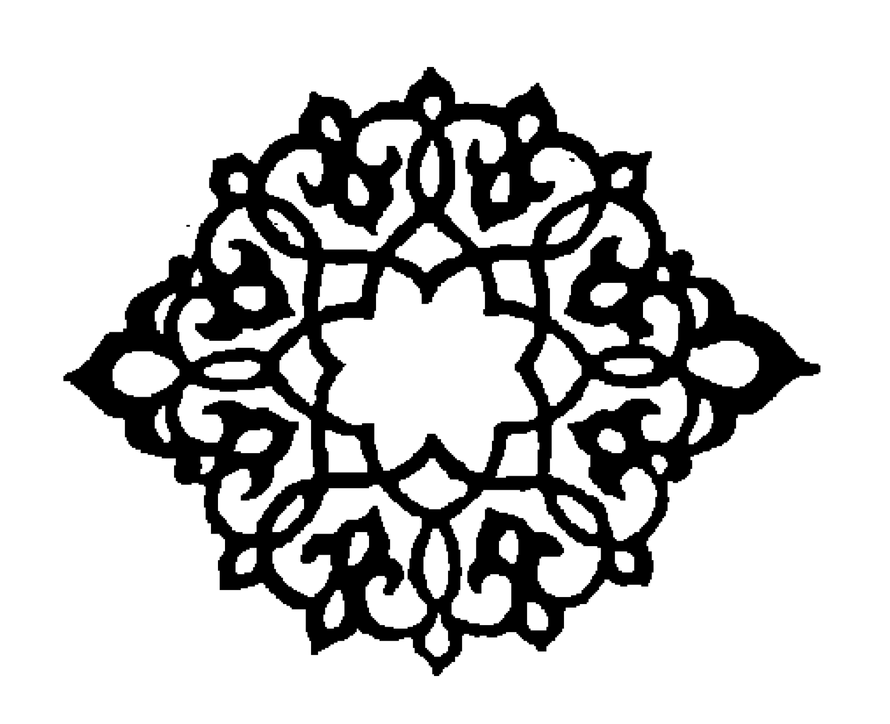
(١٠٣) ردحاً من الزمـان : مدة طويلة انظر القاموس المحيط (باب الحاء فصل الراء) .

(١٠٤) الربوع جمع ربع وهى : الدور .

(١٠٥) السراويل مفردها سروال : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم .

(١٠٦) يقصد أن النساء هن اللائى أردن أن يفتن سيدنا يوسف عليه السلام وهو كان متفوقا عليهن فى حُسنه وجماله فقد أوتى شطر « نصف » الحسن .

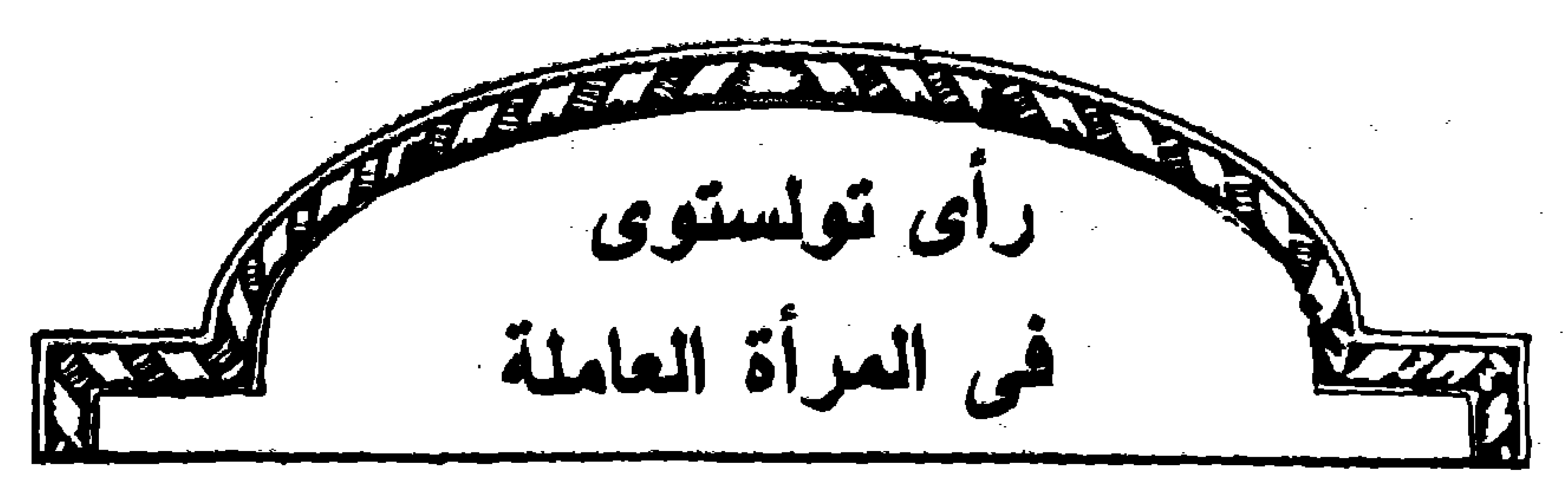
هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الزوج وخرجت من دائرة الخضوع[107] له . تلك الواجبات التى ينبغى أن تبقى عليها حتى انقضاء الأجل .



---

(١٠٧) ليس خضوع المرأة للرجل معناها إذلالها بل معناها أنها تقع تحت دائرة قوامة الرجل على المرأة قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾

[سورة النساء الآية (٣٤)] .



رأى تولستوى في المرأة العاملة

على الرجل أن يكد ويشتغل وما على المرأة إلا أن تقيم فى البيت لأنها زوجة[١٠٨] أو بعبارة أخرى لأنها إناء لطيف سريع الانثلام[١٠٩] والانكسار .

على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان[١١٠] بل يحجبها[١١١] فى البيت والبيت دائرة حرية واسعة للمرأة . [ثم ختم هذه السطور بمثل روسى وها هو][١١٢]:

« لا تركن إلى الفرس فى الغيط واركن للمرأة فى البيت » .

وقال عن :

الحب والزواج :

إن دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات . إنه قد يكون حبًا ولكن إلى وقت قصير جداً[١١٣] ثم لا يدوم إلا فى الروايات فقط وأما بين

---

(١٠٨) وإقامة المرأة فى بيت زوجها مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾

[سورة الأحزاب الآية (٣٣)]

(١٠٩) الانثلام : التهشم .

(١١٠) واطلاق العنان لها : إعطائها حرية التصرف فى كل شيء حتى ما يخص الرجل .

(١١١) يحجبها : يحجزها فى البيت ويمنعها من الخروج بمقتضى ما علمنا من ديننا .

(١١٢) ما بين المعكوفتين من وضع المترجم .

ليس دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات لأنه من واجب المرأة والرجل أن يجددوا العهد الذى بينهما بالقول والفعل الذى ينم عن صدق القلوب وتعلقها ببعضها .

(١١٣) وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « **إنهن يكفرن بالعشير** » .

الناس فعديم الاستقرار فى قلبين معا وكل رجل متزوجا كان أو غير متزوج إذا إجتازه به غادة[114] فتانة فأكثر ما يكون منه أن يوجه إليها التفاته وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغال بعد ذلك فى سبيل الوصول إليها .

والمرأة من هذا القبيل كالرجل فإنها تجتهد للاتصال بأكثر من واحد دائما ومادام يمكنها هذا الاتصال فهى نائلة إربها[115] لا محالة .

إذا قلنا أنه يمكن للمرأة أن تحب زوجها طول الحياة فما مثلنا فى ذلك إلّا مثل من يوقد شمعة وهو يعتقد أنها تدوم مضيئة طول الدهر .

إن الزواج أصبح فى عصرنا هذا بيننا محض خداع وغش ولكنه لايزال يوجد[116] عند أولئك الذين يرون فيه سرًا[117] من أسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود . أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية .

---

(١١٤) الغادة : المرأة اللينة .

(١١٥) إربها : حاجتها ومطلوبها .

(١١٦) يوجد بما شرع الله الذى يقول عن الزواج ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾

[سورة الروم الآية (٢١)]

فلا زواج بغير مودة ورحمة ، ولا حكمة للزواج إن لم يكن ملاذا يأوى إليه الزوجان معا إلى سكن يلقيان عنده أعباء الصراع العنيف فى الحياة الخارجية إلى حين .

وخير الزواج ما استطاع أن يدبر للإنسان كهفا أمينا يثوب إليه كلما ألجأته المتاعب والشواغل إلى ظلاله .

وإنه ليعيش من الدنيا فى جحيم موصول العذاب إن لم يكن له فيها ذلك الكهف الأمين ، وذلك الملجأ الحصين .

(١١٧) سرا من أسرار الدين . معلما وشعيرة من معالم وشعائر الدين..

الزوجان يخدعان الناس بأنهما يعيشان معا فى ارتباط عائلى حقيقى بالزواج . يظهر كذلك أمرهما فى الخارج لكل من رآهما وأنهما سيبقيان فى تمام الوفاق مادامت الحياة ، والحقيقة أنهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات(١١٨) ولكن من الجانبين . وبهذا التكافؤ قد يتفقان زمنًا . وعلى الأكثر أنَّ كليهما فى الشهر الثانى يهدد صاحبه بالطلاق وقبل ما يتمكنان من وسائله .

وعن ذلك تصدر الأفكار الخبيثة الجهنمية التى ينجم عنها إطلاق الرصاص انتحاراً أوْ قتلا أو دس السم وما أشبه .

وقال فى

[الفساد المنتشر بين الناس] :

وتفسد أخلاق الشباب فى المدرسة لأن جميع رفاق فسدة الأخلاق يصحبونه إلى أندية الرجس(١١٩) فيفقد طهارته وعفته من حيث لا يدرى أن فى فعله هذا ما يخالف الآداب والفضيلة ، وتفسد أخلاق الشباب من أول نشأته

---

(١١٨) يتناول الكاتب فى هذه الفقرة تصوير ما يدور فى مجتمعه بعيدا عن الديانات التى ترى فى الزواج سرا من أسرار الدين أما هم فلا يرون فيه غير تلك المقارنة الحيوانية التى تقوم على تعدد الزوجات بغير حدود بل وتعدد الأزواج ، وهذه هى الفوضى بعينها !، وما كان للمرأة فى أحسن حالاتها من مكانة فى تلك العصور المنقرضة غير مكانة العشيقة فى قصص الغرام .

والجدير بالذكر أن الإسلام لم يأت ببدعة فيما أباح من تعدد الزوجات ، وإنما الجديد الذى أتى به أنه أصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الإباحة المطلقة من كل قيد ، وأنه حسب حساب الضرورات التى لا يغفل عنها الشارع الحكيم .

وليكن معلوما أن الإسلام لم يمنع الاكتفاء بزوجة واحدة ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل أباحه بشرط العدل وعدم الجور ، وأحكم رباط الزوجة بزوجها ، وحرمها على غيره بناء على عقدة النكاح ، لتنشأ الأسرة التى هى الأمة الصغيرة ، ولا أمّة حيث لا أسرة ، بل لا آدمية حيث لا أسرة .

(١١٩) وهذا مصدر من مصادر دنس المجتمع الروسى بعد تعدد الأزواج والزوجات .

لأنه لا يسمع من مرشديه[١٢٠] أن الفسوق محرم[١٢١] بل بالعكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم بعض الشيء وجميع المحيطين به يقولون إن الوقوع شيء طبيعي قانوني مفيد للصحة وفكاهة الشباب الحلوة !

لهذا كله لا يدرك الشاب أنه سائر في طريق الضلال بل يقطع الطريق الطبيعية[١٢٢] التي يسير فيها كل صحبه وأفراد الوسط الذي يعيش فيه . فيبدأ بالفحشاء[١٢٣] كما يبتدىء بشرب المسكر والتدخين .

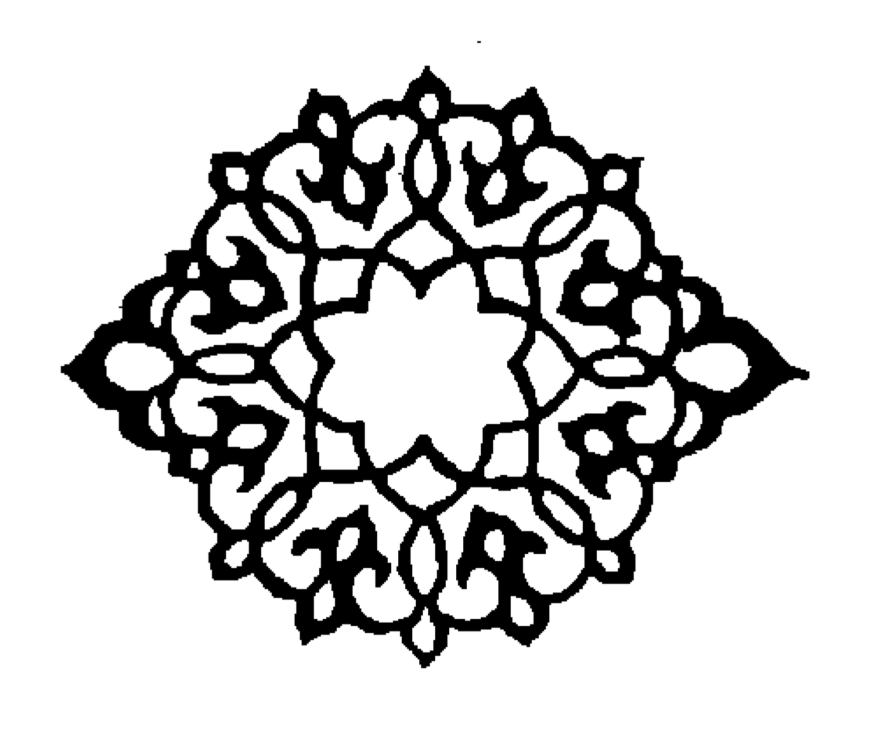
وأنا أعرف أمهات كثيرات يعتنين[١٢٤] بأمر أولادهن في هـذا الطريق[١٢٥] رعاية لصحتهم .

بقي على الشاب أمر واحد يخشى عاقبته من ارتكاب الموبقات وهو العدوى من المرض المشهور غير أن الحكومة التي تهتم بصحة رعاياها لم تدع مجالا للخوف فإنها بهمة فائقة تعتني اعتناءً تاماً بالمواخر . والأطباء كهنة أصنام العلم[١٢٦] يراقبون المومسات لقاء أجور يتقاضونها وهم من جهة أخرى يفتون للشبان بضرورة الاجتماع[١٢٧] ولو مرة في الشهر مراعاة لقانون الصحة فهم على ذلك يرتبون[١٢٨] سير الفحش ترتيبا مدققاويضبطون دوائره ضبطا « محكما » .

---

(١٢٠) مرشديه : على رأسهم والداه ، الأب والأم .
(١٢١) لا يبصر الآباء أبناءهم بذلك لأن عقيدتهم فاسدة ولتنحيهم عن دور التوجيه .
(١٢٢) الطريق الطبيعية : من وجهة نظر الشاب وهو طريق ضال وفاسد .
(١٢٣) الفحشاء : كل ما هو قبيح وشديد الذنب .
(١٢٤) يعنين : ينصحن أولادهن ويرشدنهم إلى المنكر .
(١٢٥) الطريق : طريق الفحش والسوء .
(١٢٦) ليس كل الأطباء كذلك بل يعد كل واحد يرشد إلى هذه الرذيلة كاهن لصنم الجسم فلا يراعي الله ولا يراقب ضميره وويل له عند الله لأن المرشد إلى الضلال كفاعله .
(١٢٧) الاجتماع : الزنا .
(١٢٨) يرتبون : لأنهم يعلمون أن ما يفعلونه من الزنا مناف للأخلاق والأديان وضميره يؤنبه فيحس بالارتباك أحيانا فيريد أن يبعد الشبهة بدفع كل مواطن الشبهة حتى يتخفى عند ارتكاب جريمته .
=

ليت الحكومة التى تهتم إهتماما عظيما بإزالة الزهرى[129] معالجة تستعمل جزءاً من مائة من ذلك الاهتمام فى إزالة المومسات فيصبح المرض إذ ذاك فى خبر كان .



= قال تعالى : ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ﴾ .

[سورة النساء الآية (١٠٨)]

(١٢٩) مرض الزهرى وهو ينجم عن الجماع غير الشرعى غالبا وهو يحث الحكومة الروسية أو أى دولة تنتشر فيها جريمة الزنا بإزالة مسببات المرض قبل وقوع الداء فيصعب عندئذ العلاج بعد أن يستفحل المرض .

وقال فى

[حفلات الرقص الساهرة]

يجرى بيننا وتحت نظرنا من الأمور السافلة ما لا طاقة لذى ناموس وشرف على احتماله يزورنا رجل لا نجهل من سيرته شيئا فيستقبله أحسن استقبال وعندما يدخل قاعدة الضيوف يجالس أختى أو ابنتى أو قرينتى حيث يتركنى وشأنى أو أتركه وشأنه . وربما أعرف من سلوكه وتصرفاته ما أعرف فكان يلزم والحالة هذه أن أتقدم إليه عند قدومه وأتنحى به جانبا وأقول له همسًا إنى يا صاح أعرف أحوالك وأين تصرف لياليك(١٣٠) ومع من فليس لك عندنا مكان لأن فتياتنا طاهرات(١٣١).

هكذا ينبغى أن يفعل كل واحد منا ولكنا نجرى على العكس مما تقدم فإذا اجتمعنا مع هذا الرجل فى ليلة راقصة كان له أن يرقص مع أختى أو ابنتى ويعانقها ويخاصرها(١٣٢) نراه بأعيننا ونشاهد حركاتهما معًا غدواً ورواحا وميلا واهتزازا ولا تشمئز منه نفوسنا بل نتساءل إذا كان [حرا](١٣٣) لنسعى فى تزويجه بإحدى بناتنا ولو كان أثر المرض باديا عليه(١٣٤).

---

(١٣٠) تصرف لياليك : تقضى وقت لياليك .

(١٣١) ربما يقصد الرجل أن يقول إذا كل واحد منا فعل ذلك فلن تظهر الرذيلة « الزنا » أو نهى الراغب فى الجنس بابتعاده بأسلوب لطيف .

(١٣٢) يخاصرها : يضع يده على خصرها ووسطها .

وللأسف أن معظم أجهزة الإعلام فى الدول الإسلامية لاسيما المرئية منها تبث هذه الأفلام التى تبيح هذا الفعل الفاضح فتضعف الحمية عند الشباب وتذهب بدينهم وتشجعهم على ارتكاب هذه المعاصى . فليت شعرى يصل من يقرأ أو يسمع منهم .

(١٣٣) هكذا فى المطبوع وأظنها (حراما) والله أعلم .

(١٣٤) أثر المرض : نتيجة ارتكابه الموبقات خارج المنزل وأبسط صورة ما يحدث فى الحفلات الراقصة التى ذكرها تولستوى .

ثم قال عن

الأزياء وحالة الطبقة العالية من نساء أوربا

إننا لو أمعنا النظر فى معيشة نساء الطبقات العليا كما هى من قلة الحياء والخلاعة(١٣٥) لا نجد ثم فرقًا بين البيت الذى يضمهن ونادى مومسات مختلط .

ولكن الناس لا يوافقونى على كلامى هذا فأنا إذا أقيم لهم برهانا حسيا .

هم يقولون إن نساء هيئتنا الإجتماعية يعشن بحالة تخالف معيشة المومسات وأنا أخالفهم فى ذلك وأقول : إذا كانت النساء تختلف فى حالة المعيشة الداخلية فمن الحقائق المقررة أن ما يكون خارجا منهن أثر المعيشة فى الداخل وهذه يلزم أن تخالف معيشة المومسات من كل وجه ولكن أنا أرى فرقا كبيرا بين معيشة الفريقين فى الخارج .

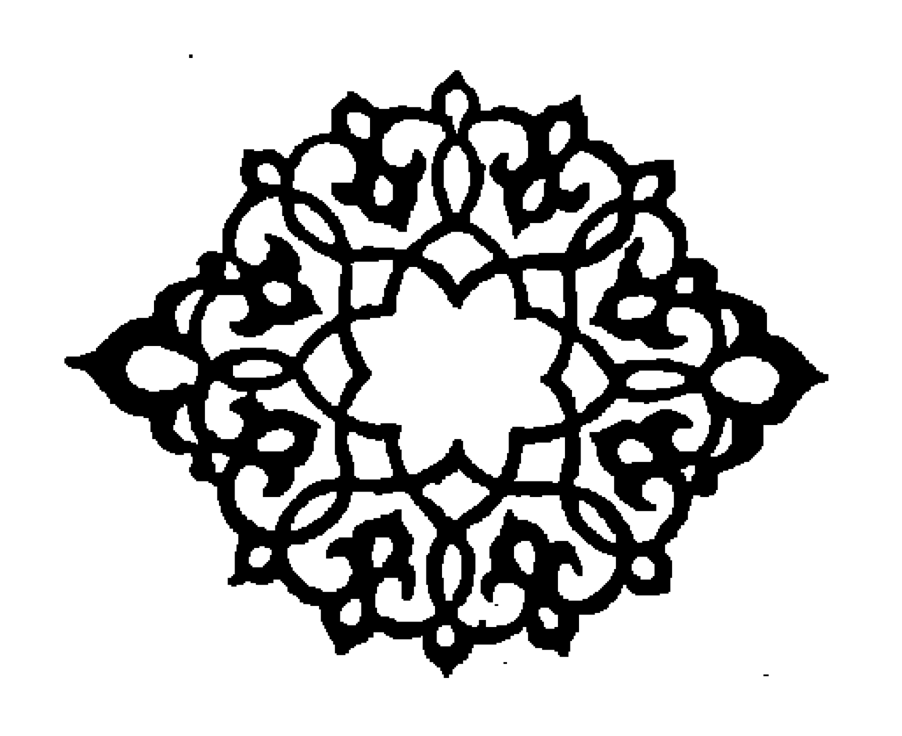
قابلوا أيها الناس بين المومسات وبين نساء الطبقة العليا تجدوهن متفقات فى الهيئات والأزياء والروائح العطرية وإعراء السواعد والمناكب والصدور(١٣٦) ووضع الوسادة خلف الظهر أينما جلسن وأينما ركبن وفى

---

(١٣٥) إنه يصور حال المجتمع الأوربى فى وقته وما وصل إليه من تدهور خلقى .

(١٣٦) هن الكاسيات العاريات تستطيع المرأة أن تستر جسمها لكنها تعرض سلعتها المحرمة فى سوق النخاسة والرقيق . لكل من يلقى نظرة وللأسف انتشر هذا فى الوسط الثرى من المسلمات المتبرجات .

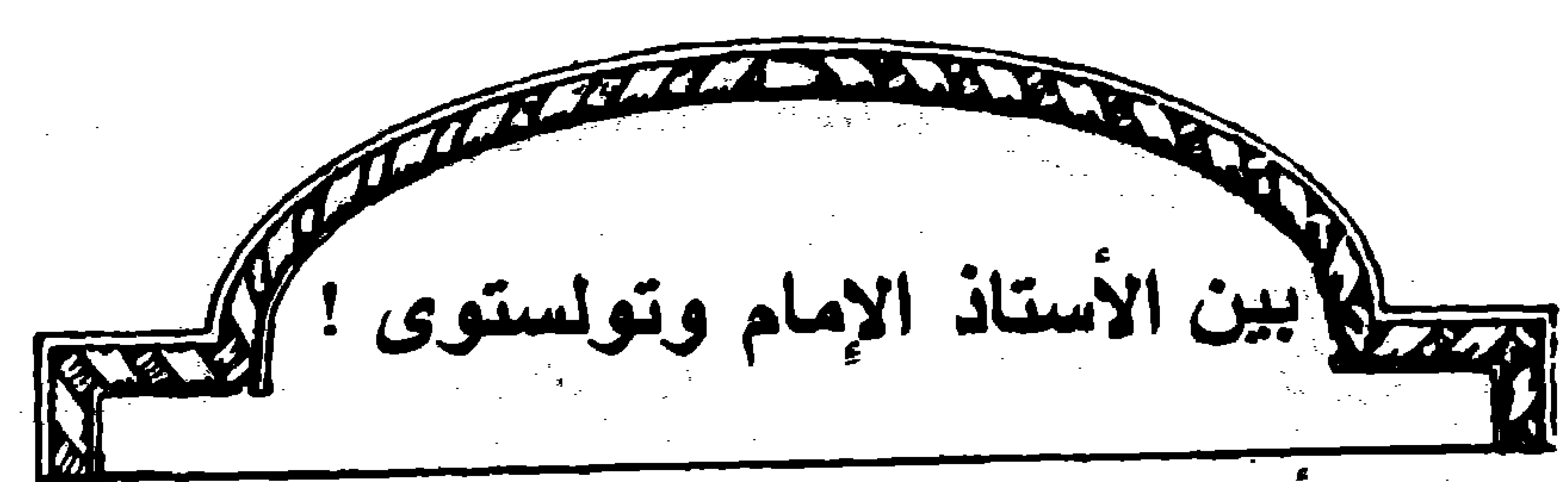
اقتناء أنفس الجواهر والحجارة الكريمة اللماعة وفى المراقص[١٣٧] والغناء وكما أن المومسات يستعملن كل الوسائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهن كل راء كذلك نساء الطبقات العالية يفعلن فى وسطهن . أ هـ .



---

(١٣٧) المراقص : أماكن الرقص من دور اللهو المتعددة مثل بعض الفنادق وبعض الكازينوهات وما أدراك .

فرغ من التعليق عليه وتخريج أحاديثه محمود محمد محمود حسن نصار خريج دار العلوم
فى يوم الأربعاء ١٤ ذو القعدة سنة ١٤٠٨هـ ٢٩ يونيو سنة ١٩٨٨م
حدائق القبة القاهرة/ تاج العز دقهلية



بين الأستاذ الإمام وتولستوى !

كتب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى الفيلسوف تولستوى واضع هذا الكتاب الخطاب الآتى فآثرت إثباته لجزيل فائدته وهو :

أيها الحكيم الجليل موسيو تولستوى

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من أفكارك ، وأشرقت فى آفاقنا شموس من آرائك وألفت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التى فطر الناس عليها ووفقك على الغاية التى هدى البشر إليها ، فأدركت أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، ولأن تكون ثمرته تعباً ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذى نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التى لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها . فيما كدر راحتهم ، وزعزع طمأنينتهم .

ونظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى بها الضالون ، كان مثالك فى العمل إماما يقتدى به المسترشدون وكما كان وجودك توبيخاً من الله للأغنياء كان مدداً من عنايته للضعفاء الفقراء وأن أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء نلته ، على متاعبك فى النصح والإرشاد هو هذا الذى سماه الغافلون بالحرمان والإبعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين ، سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين ، فاحمد الله على أن فارقوك فى أقوالهم ، كما كنت فارقتهم فى عقائدهم وأعمالهم .

هذا وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من آثار قلمك فيما تستقبل من أيام عمرك وإنا نسأل الله أن يمد فى حياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس إلى التأسى بك فى عملك ، والسلام .

– مرثية –

أحمد شوقي بك في تولستوى !

(طولستوى) تجرى آية العلم دمعها ... عليك ويبكى بائس وفقير
وشعب ضعيف الركن زال نصيره ... وماكل يوم للضعيف نصير
ويندب فلاحون أنت منارهم ... وأنت سراج غبوه منير
يعانون فى الأكواخ ظلما وظلمة ... ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى ... عليهم وتغشى دورهم وتزور
ويأسى عليك الدين إذ لك لبه ... وللخادمية الناقمين قشور
أيكفر بالإنجيل من تلك كتبه ... أناجيل منها منذر وبشير
ويبكيك ألف فوق (ليلى) ندامة ... غداة مشى (بالعامرى) سرير
تناول ناعيك البلاد كأنه ... يراع لد فى راحتيك صرير
وقيل تولى (الشيخ) فى الأرض هائما ... وقيل (بدير) الراهبات أسير
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه ... وللطب من بطش القضاء عذير
إذا أنت جاورت (المعرى) فى الثرى ... وجاور (رضوى) فى التراب (ثبير)
وأقبل جمع الخالدين عليكما ... وغالى بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الأرض عطرها شذى ... جناهن مسك فوقها وعبير
بهن يباهى بطن (حواء) واحتوى ... عليهن بطن الأرض وهو فخور
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى ... فأنت عليم بالأمور خبير
أحطت من الموتى قديما وحادثا ... بما لم يحصل منكر ونكير
طوانا الذى يطوى السموات فى غد ... وينشر بعد الطى وهو قدير
تقادم عهدانا على الموت واستوى ... طويل زمان فى البلى وقصير
كأن لم تضق بالأمس عنى كنيسة ... ولم يؤونى دير هناك طهور
أرى راحة بين الجنادل والحصى ... وكل فراش قد أراح وثير
نظرنا بنور الموت كل حقيقة ... وكنا كلانا فى الحياة ضرير
إليك إعترافى لا لقس وكاهن ... ونجواى بعد الله وهو غفور
فزهدك لم ينكره فى الأرض عارف ... ولا متعال فى السماء كبير
بيان يشم الوحى من نفحاته ... وعلم كعلم الأنبياء غزير

سلكت سبيل المعرفين ولد لي ... بنون ومال والحياة غرور

أداة شتائى الدفء فى ظل شاهق ... وعدة صيفى جنة وغدير

ومتعت بالدنيا ثمانين حجة ... ونضر أيامى غنى وحبور

وذكر كضوء الشمس فى كل بلدة ... ولاحظ مثل الشمس حين تسير

فما راعنى إلا عذارى أجرننى ... ورب ضعيف تحتمى فيجير

أردت جوار الله والعمر منقض ... وجاورته في العمر وهو نضير

وصباً نعيم بين أهل وموطن ... ولذات دنيا كل ذاك نذور

بهن وما يدرين ما الذنب خشية ... ومن عجب تخشى الخطيئة حور

أوانس فى داج من الليل موحش ... ولله أنس فى القلوب ونور

وأشبه طهر فى النساء بمريم ... فتاة على نهج المسيح تسير

تسائلنى هل غير الناس مابهم ... وهل حدثت غير الأمور أمور

وهل آثر الاحسان والرفق عالم ... دواعى الأذى والشر فيه كثير

وهل سلكوا سبل المحبة بينهم ... كما يتصافى أسرة وعشير

وهل آن من أهل الكتاب تسامح ... خليق بآداب الكتاب جدير

وهل عالج الأحياء بؤساً وشقوة ... وقل فساد بينهم وشرور

قم انظر وأنت المالىء الأرض حكمة ... أأجدى نظيم أم أفاد نثير

أناس كما تدرى ودنيا بحالها ... ودهر رخى تارة وعسير

وأحوال خلق غابر متجدد ... تشابه فيها أول وأخير

تمر تباعاً فى الحياة كأنها ... ملاعب لا ترخى لهن ستور

وحرص على الدنيا وميل مع الهوى ... وغش وإفك في الحياة وزور

وقام مقام الفرد فى كل أمة ... على الحكم جم يستبد غفير

وحور قول الناس مولى وعبده ... إلى قولهم مستأجر وأجير

وأضحى نفوذ المال لاأمر فى الورى ... ولا نهى إلا ما يرى ويشير

تساس حكومات به وممالك ... ويذعن أقيال له وصدور

وعصر بنوه فى السلاح وحرصه ... على السلم يجرى ذكرها ويدير

ومن عجب فى ظلها وهو وارف ... يصادف شعباً آمنا نحرير

ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويؤوى جيوشا كالحصى ويمير

ولما استقل البر والبحر مذهباً ... تعلق أسباب السماء يطير

- مرثية -

حافظ بك إبراهيم فى تولستوى !

رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى — لمدحك من كتاب مصر كبير

ولست أبالى حين أرثيك بعده — إذا قيل عنى قد رثاه صغير

فقد كنت عونا للضعيف وأننى — ضعيف ومالى فى الحياة نصير

ولست أبالى حين أبكيك للورى — حوتك جنان أو حواك سعير

فإنى أحب النابغين لعلمهم — وأعشق روض الفكر وهو نضير

دعوت إلى عيسى فضجت كنائس — وهز لها عرش وماد سرير

وقال أناس إنه قول ملحد — وقال أناس إنه لبشير

ولولا حطام رد عنك كيادهم — لضقت به ذرعا وساء مصير

ولكن حماك العلم والرأى والحجى — ومال إذا جد النزال وفير

إذا زرت رهن المحبسين(١٣٨) بحفرة — بها الزهد ثاو والذكاء مثير

وأبصرت أنس الزهد فى وحشة البلى — وشاهدت وجه الشيخ وهو منير

وأيقنت أن الدين لله وحده — وأن قبور الزاهدين قصور

فقف ثم سلم واحتشم إن شيخنا — مهيب على رغم الفناء وقور

وسائله عما غاب عنك فإنه — عليم بأسرار الحياة بصير

يخبرك الأعمى وإن كنت مبصراً — بما لم تخبر أحرف وسطور

كأنى بسمع الغيب أسمع كلما — يجيب به أستاذنا ويحير

يناديك أهلا بالذى عاش عيشنا — ومات ولم يدرج إليه غرور

قضيت حياة ملؤها البر والتقى — فأنت بأجر المتقين جدير

وسموك فيهم فيلسوفا وأمسكوا — وما أنت إلا محسن ومجير

وما أنت إلا زاهد صاح صيحة — يرن صداها ساعة ويطير

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا — إليها بما تعطيهم وتمير

حياة الورى حرب وأنت تريدها — سلاما وأسباب الكفاح كثير

أبت سنة العمران إلا تناحرا — وكدحا ولو أن البقاء يسير

تحاول رفع الشر والشر واقع — وتطلب محض الخير وهو عسير

(١٣٨) يريد أبا العلاء المعرى .

ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم　　　دليل على أن الإله قدير

ولم يبعث الله النبيين للهدى　　　ولم يتطلع للسرير أمير

ولم يعشق العلياء حر ولم يسد　　　كريم ولم يرج الثراء فقير

ولو كان فينا الخير محضا لما ادعا　　　إلى الله داع إن تبلج نور

ولا قيل هذا فيلسوف موفق　　　ولا قيل هذا عالم وخبير

فكم فى طريق الشر خير ونعمة　　　وكم فى طريق الطيبات شرور

ألم تر أنى قمت قبلك داعيا　　　إلى الزهد لا يأوى إلى ظهير

أطاعوا أبيكير وسقراط قبله　　　وخولفت فيما أرتئى وأشير

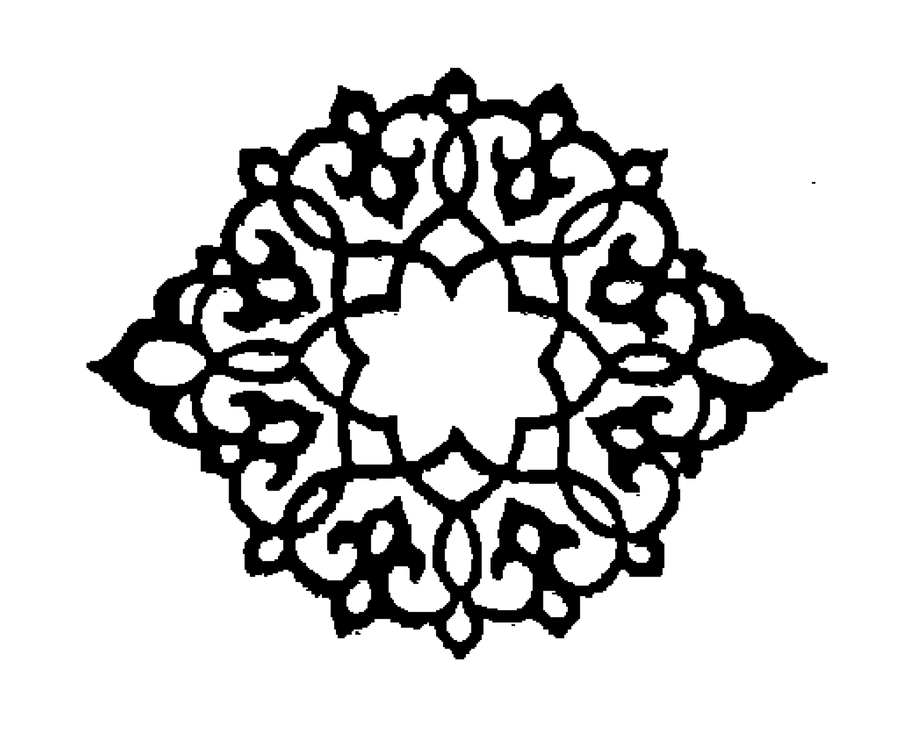
ومت وما ماتت مطامع طامع　　　عليها ولا ألقى القياد ضمير

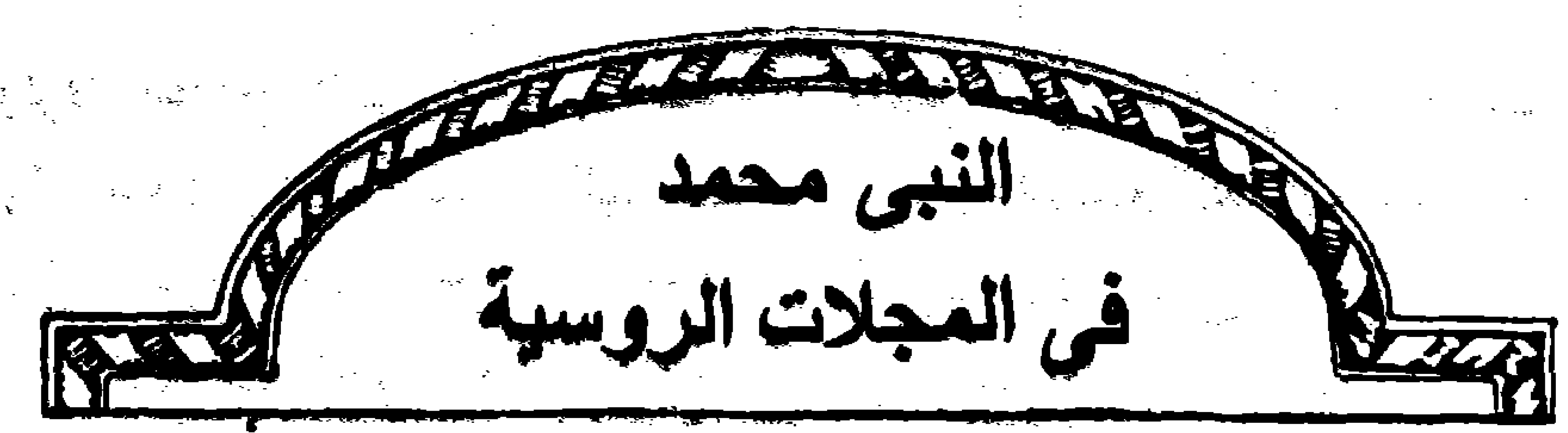
إذا هدمت للظلم دور تشيدت　　　له فوق أكتاف الكواكب دور

أفاض كلاما فى النصيحة جاهدا　　　ومات كلانا والقلوب صخور

فكم قيل عن كهف المساكين باطل　　　وكم قيل عن شيخ المعرة زور

وما صد عن فعل الأذى قول مرسل　　　ولا راع مفتون الحياة نذير





النبى محمد في المجلات الروسية

جاء فى إحدى المجلات الروسية تحت هذا العنوان ما يأتى بالحرف الواحد فى شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين حيث كان الناس يدينون بالديانتين المسيحية واليهودية ظهرت ديانة عظيمة أساسها الاعتراف بوحدانية الله وهذه الديانة تعرف بالمحمدية أو كما يسميها أتباعها الإسلام وقد انتشرت هذه الديانة انتشاراً سريعاً بين قبائل متعددة وأمم كثيرة حتى بلغ عدد منتحليها فى هذا العصر نحو مائتى مليون نفس .

مضى على ظهور الديانة الإسلامية ١٣٣٠ عاما أو بعد ظهور الديانة المسيحية بنحو ٦٠٠ سنة ومؤسس هذا الدين هو العربى محمد .

كان العرب - أقرباء اليهود باللغة والجنس قبل ظهور الرسول - وثنيين يعبدون آلهة متعددة وأرواحاً صالحة وشريرة ، وكانت أصنامهم تقسم إلى قسمين عائلية ووطنية فكان كثير من العائلات تصنع لها صنما خاصا تعبده ، وكان فى كل قبيلة صنم عام تسجد له برمتها ، ولكن العرب عموما كانوا يعتقدون بوجود إله يعتبرونه أباً لهذه الأرباب يسمونه « الله العلى العظيم » .

وكانت اعتقادات العرب الدينية مملوءة بالخرافات وديانتهم مبنية على القسوة والانتقام والتعادى .

ولقد انقسمت بلاد العرب إلى ثلاث مقاطعات وهى اليمن ذات التربة الخصيبة ويعمل أهلها بالزراعة وتربية المواشى ثم نجد ويسكنها قوم رحل يتوفرون على تربية الماشية والغزو والنهب ، ثم الحجاز أهلها أرباب تجارة مع مصر وسوريا والجهات الأخرى ، وعاصمة هذه الجهة مكة وهى المدينة المقدسة عند جميع القبائل العربية ، ولكل قبيلة فيها أصنام خاصة بها وفيها الكعبة المعبد العظيم الذى كان يحفظ فيه الحجر الأسود الذى تقول تقاليد العرب بشأنه إن الله سبحانه وتعالى أنزله على إبراهيم جد العرب لأنهم يعتقدون أنهم من نسل إسماعيل بن هاجر .

وكان العرب يزورون مكة فى كل عام وحتى يأمنوا على نفوسهم من

القتل والسلب فى خلال هذه الزيارة عينوا أربعة أشهر فى العام حرموا فى أثنائها سفك الدماء والغزو والسرقة .

ولما وحد النبى محمد قبائل العرب ، وأنار أفكارهم وأبصارهم بمعرفة الإله الواحد ، هذب أخلاقهم ولين طباعهم وقلوبهم وأصلح عاداتهم البربرية الهمجية ، وجعلهم أمة مستعدة للرقى والتقدم .

كان العرب قبل ظهور النبى محمد يقدمون لآلهتهم الذبائح البشرية من أسرى الحرب ومن أولادهم - فيئدون بناتهم - ويقتلون عدوهم وعلى الجملة فقد كانت أخلاقهم مبنية على القساوة والانتقام وسفك الدماء وقد قضى النبى محمد على ذلك جميعه ونادى بعبادة الخالق سبحانه وتعالى وساوى جميع العرب أمام الله وحرم الانتقام ومنع سفك الدماء وهذه الأعمال العظيمة التى قام بها النبى محمد تدل على أنه من المصلحين العظام وعلى أن فى نفسه قوة فوق قوة البشر .

ولد النبى محمد عام ٥٧١م من أبوين فقيرين وقد توفى والده قبل ولادته بشهرين وتوفيت والدته فى العام السادس من عمره فكفله أولاً جده ثم عمه الذى كان يصحبه معه فى سفراته التجارية . وكان النبى محمد فى حداثته يخدم أعمامه فيرعى ماشيتهم ويقود جمالهم .

ولما بلغ العام العشرين دخل فى خدمة قريبته الأرملة خديجة من ذوات الثروة الواسعة بصفته وكيلا لها، وبعد مرور سنة قضاها فى خدمتها تزوجها مع أنها كانت أكبر منه بعشرين عاما وقيل بخمسة عشر .

كان محمد ذا فكر نير وبصيرة وقادة واشتهر بدماثة الأخلاق ولين العريكة والتواضع وحسن المعاملة للناس ، واشتهر بميله للأبحاث الدينية حتى أنه كان يناقش اليهود والنصارى ، ومن هذه المناقشات عرف أشياء عن موسى والمسيح وعرف بعض الشيء من تعاليم التوراة والإنجيل وعرف أنه يوجد آله عظيم لم تصنعه الأيدى البشرية[١٣٩].

مضت على محمد أربعون سنة قضاها بسلام وطمأنينة وكان جميع أقاربه يحبونه محبة شديدة وأهل مدينته يحترمونه إحتراماً عظيماً لما هو عليه من المبادىء القويمة والأخلاق الكريمة وشرف النفس والنزاهة وكانت ثروة

(١٣٩) إن الذى نعرفه من كتب الإسلام والسير النبوية لا يثبت هذه الرواية (المعرب)

زوجته تكفيه مؤونة الكدح ليعيش عيشة رخاء وهناء إلا أن أنوار الدعوة الإسلامية دفعته إلى القيام بعمل عظيم ألا وهو إخراج أمته ومواطنيه من دياجير الجهل وظلمات الخرافات الدينية .

وصل الاعتقاد الديني بمحمد إلى الاعتراف بأن موسى وعيسى من أنبياء الله ولكنه لم ترقه بعض عقائد الديانتين المسيحية واليهودية .

ولطالما انقطع محمد فى حداثته إلى الجبال المجاورة لمكة حيث يقيم شهراً متعبداً وكان شعوره الديني يزداد عاما فعاما أيقن فى النهاية أن أرباب أمته لا شعور لها ولا قوة وأن الإله الحقيقى واحد وهو الله منشىء الكائنات ومديرها بقوته غير المحدودة ففى سنة من سنوات إعتزاله تواترت عليه ذات يوم الأفكار الدينية وبعد ذلك اضطربت لها نفسه اضطراباً شديداً ، فدخل مغارة ونام فيها وفى خلال نومه رأى رؤيا دعاه فى خلالها هاتف ليكون نبياً يدعو أمته لمعرفة الإله الواحد ولما استيقظ من نومه عاد إلى منزله مضطرباً وبعد عدة أسابيع رأى رؤيا أخرى دعاه فيها صوت ذلك الهاتف ليكون نبياً لأمته فعزم بعد هذه الرؤيا بدون تردد على دعوة أمته إلى معرفة الحق وصمم العزم على تطهير البلاد من الأصنام .

ومن أراد أن يحكم على الدين الإسلامى ومبادئه وروح تعاليمه فليطالع الآيات الآتية التى اقتطفناها من القرآن وهى :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

﴿ كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾

[الرحمن آية ٢٦ ، ٢٧] .

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾

[البقرة ٢٨٦] .

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ [التوبة ٦٠] .

﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران ١١٣ – ١١٥] . ﴿ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ .
[التوبة ١٢٩]

﴿ قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ .

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون .﴾ . [الأنبياء ٢٢]

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ . [البقرة ١٥١]

﴿ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . [آل عمران ١٣٠]

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ . [المائدة ٨٢ ، ٨٣]

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ . [النساء ٤٣]

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ . [الإسراء ٢٩]

﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ . [الإسراء ٢٦ ، ٢٧]

﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ . [البقرة ٢٧]

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ . [آل عمران ١٩]

﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ . [آل عمران ٢٠]

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ . [النساء ١]

﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ﴾ . [محمد ٣٦]

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴾ . [البقرة ١٣٦]

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة ٢١٣] . ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة ٢٧٤] .

﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ .

[النور ٣٥]

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ . [النور ٣٠]

﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

[التحريم ٦]

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ . [البقرة ٢١٩]

﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ .

﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون .وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين . أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ . [البقرة ٤٢ ، ٤٤]

وقد صدقت عائلة النبى محمد برسالته وكذلك على وزيد وانضم إليه عمه أبو بكر الذى غدا من أكبر أنصاره وأكد أكثر مؤرخى العرب أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال وأن خديجة أول من أسلمت من النساء .

وقد أراد النبي محمد فى بدء رسالته أن يسير على عادات قبيلته فدعا كبار عشيرته وأعلنهم برسالته ، فلما سمعوا منه مقالته استكبروا منه ذلك وأخذ الغضب منهم مأخذا عظيما لأنهم انتظروا أن يسمعوا منه كلاماً عن تجارة أو غزوة وقال له أبو لهب أحد أعمامه بلهجة الغضب ألهذا دعوتنا فاختنق واصمت ثم تفرقوا صاخبين هازئين .

ثم أخذ النبى محمد يجاهر برسالته فعاب دين قبيلته وسفه أحلامها وسب آلهتها فأساء بذلك إلى أشراف القبيلة ورأوا فى رسالته خطرا على البلاد وأهلها ولكن لم يجسر أحد منهم أن يقاومه خيفة من وقوع النزاع والشقاق ، وفى سنى رسالته الأولى لم يصدق بنبوته إلا ٤٣ شخصاً أكثرهم من الفقراء والعبيد الذين سامهم مواليهم صنوف الاضطهاد والهوان ، فأخذ إذ ذاك أبو بكر أعظم أنصار النبى محمد يفتدى أولئك العبيد بأمواله واشترى مرارا بماله المعذبين من الإسلام لإنقاذهم من الآلام .

وفى خلال ذلك طلب القريشيون من أبى طالب عم النبى محمد لكى يرجع ابن أخيه عن كلامه وحاله فنصح له أبو طالب ولكن النبى أجابه بقوله ما معناه **« لو أعطونى الشمس بيمينى والقمر بشمالى لكى أترك هذا العمل قبل أن ينصره الله أو أهلك أنا فى سبيله فلن أتركه »** ولما قال هذا أراد الخروج فمسك به أبو طالب وقال له ؟ اجهر بأمر رسالتك واعمل ما تريد فلست بمسلمك لهم يا ابن أخى ولن أتركك أبداً .

وفى عام ٦١٧ توفيت خديجة وبعد وفاتها بعدة أسابيع توفى أبو طالب أيضاً ولذلك انقطعت علاقات النبى محمد القلبية مع مكة فغادرها إلى المدينة ولم يمض على إقامته فيها زمن طويل حتى آمن برسالته كثيرون ألفوا جماعة أطلق عليها جماعة المؤمنين اشتهروا بالتقوى والصلاح وحسب تعاليم الإسلام كانوا جميعهم متساويين فى كل شىء ولم يكن بينهم أثر للسيادة والانقسام إلى طبقات متفاوتة فى الحسب والنسب كما كان الحال عليه عند القبائل العربية

وقد ضربت السكينة بين جماعة المؤمنين أطنابها ورفعت المساواة قبابها فتناسوا ما كان بينهم من الحزازات والضغائن وأصبحوا يعيشون كنفس واحدة وكان الواجب يقضى عليهم أن يدفعوا عن بعضهم بعضاً ويردوا هجمات غير المؤمنين .

وقد جرت عدة وقائع حربية بين أنصار النبى وأهالى مكة انتهت بانتصار الأنصار الذين دخلوا مكة ظافرين وقد طاف النبى وهو على ناقته حول الكعبة سبع مرات ومس الحجر المقدس بعصاه ثم أمر بتحطيم جميع الأصنام التى كانت منصوبة حول الكعبة وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله عز وجل ثم أمر المكيين أن يحطموا الأصنام الموجودة فى منازلهم وقد لبى الجميع هذا النداء لوثوقهم بضعف آلهتهم .

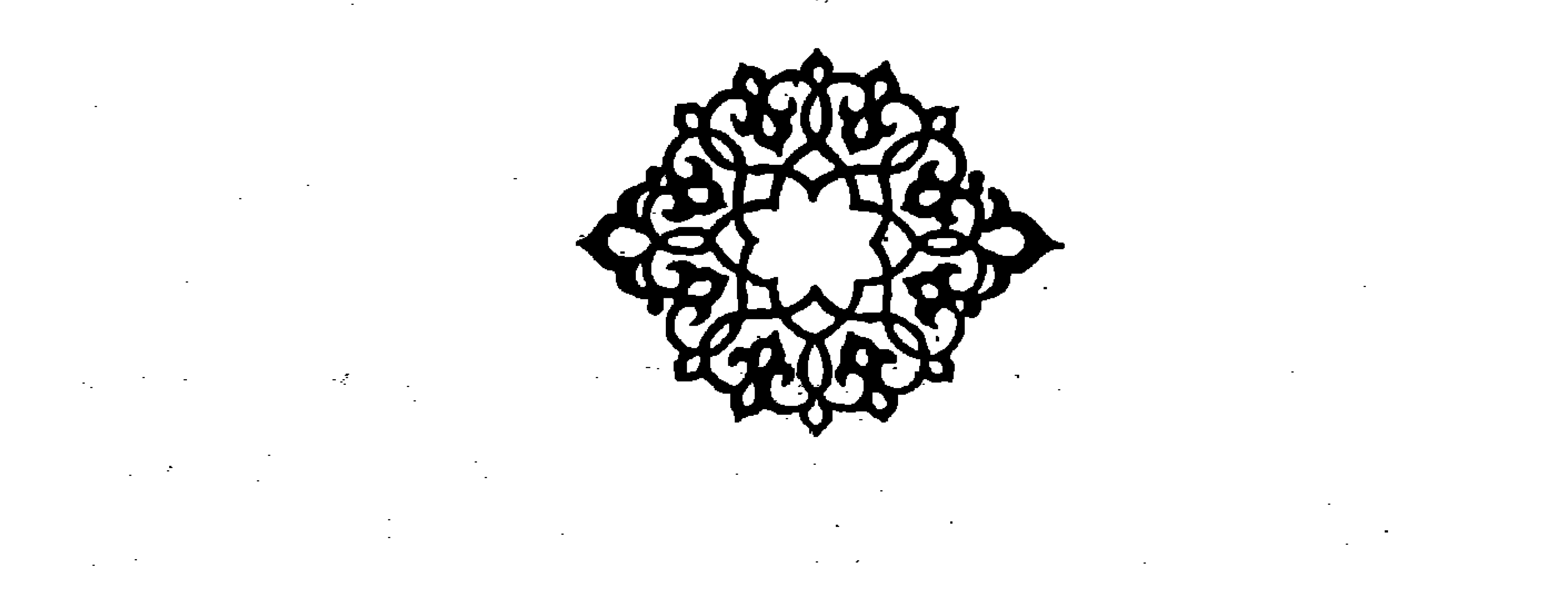
وفى آخر رحلة رحلها النبى إلى مكة جمع حولها الحجاج وذكرهم بجميع وصايا الإسلام ونصح لهم بأن يعيشوا مع بعضهم عيشة سلام وأمان وأن يكونوا إخوانا وأن يتناسوا الأحقاد القديمة ويكفوا عن سفك الدماء والأخذ بالثأر وأوصاهم خيراً بزوجاتهم وعبيدهم وفى الختام قال إننى قد قمت بما عهد إلى .

وبعد عدة شهور مضت على مغادرته مكة انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وكانت وفاته فى اليوم الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٨ م فى العام الثالث والستين من سنى حياته وقبل وفاته اعتق جميع عبيده .

إن محمداً نبى الإسلام الذى يدين به الآن أكثر من مائتى مليون نفس قد قام بعمل عظيم جداً فإنه هدى الوثنيين الذين قضوا حياتهم بالحروب الأهلية وسفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية إلى معرفة الإله الواحد وأنار بصيرتهم بنور الإيمان ، وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله سبحانه وتعالى و الحق الذى لا مراء فيه أن النبى محمدًا قام بعمل عظيم وانقلاب كبير فى العالم ومن أراد أن يتحقق ماهو عليه الدين الإسلامى من السهل عليه أن يطالع القرآن الكريم بإمعان وإذ ذاك يصدر حكماً مبنيا على الحقائق الباهرة التى يتضمنها ذلك التعليم وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل على روح الدين الإسلامى السامية فمنها الآية الكريمة : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله**

عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ . [آل عمران ١٠٣] .

(المعرب) هذه أقوال كاتب روسى مسيحى منصف نشرها بين قومه لإطلاعهم على جوهر الدين الإسلامى ومافيه من الحقائق الباهرة وهى حرية الاعتبار لصدورها من كاتب فاضل يقول الحق ، ولا غرابة فرجال الفضل المنصفون وجدوا فى الدنيا لتقرير الحقائق ودفع التهم وإرشاد الناس إلى الحقيقة الناصعة التى لبثوا أعواماً طوالاً هم فى ريبة منها لما قرأوه عنها من الاختلافات التى بثها فى نفوسهم بعض الكتاب الذين يجرون وراء تيار الأهواء ويخالفون ضمائرهم لإرضاء فريق من الناس وهى خلة ذميمة فى الكتاب الذين هم مصابيح الأزمنة والواجب يقضى عليهم بتبديد غياهب الجهل وإنارة الأفكار بنبراس الحقيقة فإذا سار العلماء والكتاب على خطة هذا الكاتب الروسى أفادوا العالم فوائد لا يقدرها إلا كل ذى شعور حى يتألم لتنابذ الناس وتباغضهم .



الإسلام والمسلمون وأقوال الكتاب فيهما

فى روسيا جمعيات عديدة دينية أنشئت لتبشير الأمم الإسلامية بالدين المسيحى ، مثل قبائل الكير جيز والتتر والشركس وغيرها ويبلغ عدد المسلمين في روسيا أوروبا نحو ستة عشر مليونا ونصف هذا عدا مسلمى القوقاس وأواسط آسيا الخاضعين للحكومة الروسية ، وحسب إحصاء أجرى فى روسيا عام ١٩٠٧ بلغ عدد المسلمين ١٠٦ فى الألف من مجموع السكان وإذا راجعنا تاريخ المسلمين فى روسيا نجد أنه مرت عليهم أزمان قاسوا فيها صنوف الاضطهاد الدينى وأرغموا مراراً على ترك دينهم واضطر منهم ألوف أن يتنصروا بالاسم ونقلوا أسماءهم من سجلات المسلمين إلى سجلات المسيحيين ولكنهم تنصروا اسما وهم لا يعرفون شيئاً من الديانة المسيحية سوى تسميتهم بحنا وبطرس ومرقص ومتى ، وفى الوقت نفسه لبثوا محافظين على عقائد الدين الإسلامى والأخلاق الإسلامية ولبثت نساؤهم محافظة على الحجاب ، واذكر أنه منذ ثمانى سنوات تمكن بعض نوابغ المسلمين الروسيين وأعيانهم إستصدار أمر قيصرى بإعطاء الحرية للمسلمين المتنصرين اسما أن يرتدوا للدين الاسلامى فارتد منهم فى أيام قليلة نحو أربعين ألف ونيف ، وكانت أيام الارتداد هذه أيام أعياد واحتفالات شائقة بين المسلمين أقاموا فيها الزينات والولائم ونحروا فيها الجزر وأكثروا من الصدقات على الفقراء والمحتاجين وأقاموا الصلاة فى جميع مساجد روسيا .

وأهم مسألة يشتغل فيها النواب المسلمون فى مجلس الدوما هى توسيع الحرية للمسلمين وتخويلهم حق الدفاع عن دينهم كلاما وكتابة والرد على جماعة المبشرين الذين يصدرون فى كل عام مئات من الكتب يكتبون فى مجلاتهم وجرائدهم المطاعن على الدين الإسلامى وكان المسلمون من قبل لا يصح لهم أن يردوا على تلك المطاعن أو يدحضوها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة بل كانوا مرغمين على سماع تلك المطاعن وهم صامتون

وقد أحرجت صدورهم وتغلغل الحقد فى قلوبهم لكن بعد الجهد والعناء استطاع النواب المسلمون فى مجلس الدوما مساعدة بعض النواب المسيحيين المنصفين الذين طهرت قلوبهم من أدران التعصب الذميم وأشربت أفئدتهم بحب الإنصاف ونشر ألوية المساواة من استصدار قرار من المجلس المذكور صادق عليه جلالة القيصر نقولا الثانى يتضمن الأمور الآتية :

أولاً - منح المسلمين حق الدفاع عن دينهم والرد على أقوال المبشرين وغيرهم من الذين يطعنون على الدين الإسلامى .

ثانياً - منحهم الحق فى إصدار جرائد ومجلات باللغة التترية وكانوا من قبل لا يستطيعون إصدار جريدة أو مجلة إلا باللغتين الروسية والتترية .

ثالثاً - منحهم الحق فى إنشاء مدارس وكتاتيب بجوار المساجد تعلم العلوم باللغتين التركية والعربية وكانوا من قبل مجبورين على تدريس اللغة الروسية فى مدارسهم .

رابعاً - تخويلهم الحق فى تعيين الأئمة ورجال الدين من أشخاص يعرفون اللغتين التترية والعربية ، وكانت الحكومة من قبل لا تسمح بتعيين المسلمين فى الوظائف الدينية إلا إذا كانوا يجيدون اللغة الروسية وأمثال هؤلاء قليلون بين رجال الدين المسلمين ، ولذلك كانت الحكومة تعين رجالاً جهلاء فى الدين وتهمل المستحقين لعدم معرفتهم اللغة الروسية .

خامساً - تخويلهم حق إدارة مدارسهم الدينية وأوقافها وكانت من قبل هذه المدارس تديرها وزارة المعارف الروسية .

سادساً - منع المسلمين من الاتجار ببيع المشروبات الروحية .

سابعاً - منع المسلمات من إنشاء مواخير للفساد وإدارتها .

ثامناً - إعطاء المسلمين الحرية فى قفل مخازنهم ومحلات متاجرهم يوم الجمعة وعدم إرغامهم على قفلها يوم الأحد .

تاسعاً - تعيين أئمة من الجيش للقيام بخدمة الجنود المسلمين الدينية .

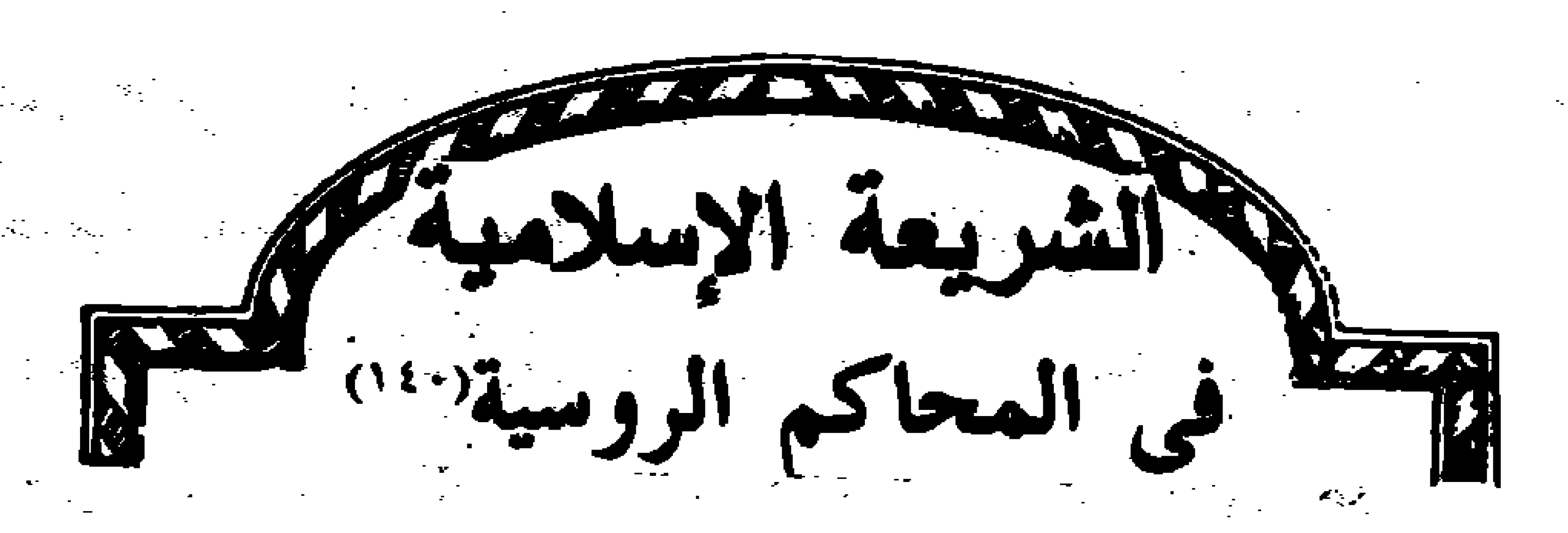
عاشراً - تقديم مأكولات للجنود المسلمين ليس فيها طعام محرم فى الدين الإسلامى .

حادى عشر – منح المسلمين الحرية فى إنشاء الجمعيات الخيرية والنوادى الأدبية العلمية لتعمل على ترقية المسلمين مادياً وأدبياً .

وبعد صدور الأمر القيصرى بالتصديق على هذا القرار انشرحت صدور المسلمين فى روسيا وتنسموا رائحة الحرية التى ساعدتهم على السير فى طريق الرقى الأدبى فأنشأوا الجرائد العديدة بلغتهم التترية فأصبح عندهم نحو مائتى جريدة ومجلة سياسية وأدبية وتاريخية ودينية بعد أن كانت جرائدهم قليلة العدد جداً وألغى كثيرون القسم الروسى من جرائدهم وأنشأوا أيضاً كثيراً من الجمعيات الخيرية والأدبية والمدارس العديدة وأصبحوا يرفلون فى رياض الحرية .

على أن كثيرين من كتابهم الفضلاء مازالوا يشكون من جمود المسلمين فى روسيا وتمسكهم بعقائد وتقاليد قديمة وأنه يلزمهم وقت طويل لمجاراة الأمم الغربية فى مضمار الحياة وإقبالهم على تعلم العلوم العالية ، وكثيرون من أولئك الكتاب الأفاضل أخذوا يؤلفون الكتب ويكتبون المقالات فى الجرائد والمجلات يحثون بها أبناء دينهم على طرح نير الجمود والاستكانة ويرشدونهم إلى طريق الرقى ، وبوجه الإجمال فإن مسلمى روسيا نهضوا فى هذه الأيام نهضة شريفة تبشر بحسن الاستقبال وخير المآل إن لبثوا سائرين على محور الهمة والنشاط حقق الله آمالهم .

على أن الحكومة الروسية من قديم الزمان كانت ومازالت ولن تزال عاملة على معاملة المسلمين فى بلادها بالحسنى ومنحتهم كثيراً من الحقوق لم تمنحها لغيرهم من الأمم المستظلة بالراية الروسية ولا عجب فى ذلك فإن المسلمين فى روسيا أظهروا فى حوادث كثيرة على أنهم من أشد الناس إخلاصاً لحكومتهم وطالما دافعوا عنها بنفوسهم وأموالهم واشتهرت الجنود الإسلامية فى الجيش الروسى بالبسالة والإقدام والدفاع عن حقوق الوطن وقد عرف فيهم ذلك قياصرة روسيا فاختاروا حرسهم الخاص منهم ومنحوهم حقوقاً عديدة .



الشريعة الإسلامية في المحاكم الروسية[١٤٠]

لا توجد مقاطعة فى أنحاء المعمورة تقضى فيها حقوق أهاليها بشأن الإرث حسب نصوص شريعة الديانة المتدين بها أهل تلك المقاطعة الخاضعون لمملكة متدينة بدين يخالف دينهم . ففى الجزائر والهند تستعمل محاكمها الشريعة الإسلامية فى قضايا الوطنيين الأصليين فقط وأما فى سائر أنحاء فرنسا وإنكلترا فإن المسلمين يرثون حسب نظام قانون نابليون والقوانين المدنية للبلاد التى يقيمون بها ، غير أن روسيا شذت عن هذه الطريقة ففيها وحدها يرث المسلمون حسب نصوص الشريعة الإسلامية وقضاة محاكمها مأمورون بالسير على تلك الشريعة المرعية الأجراء فى محاكمنا من عهد بعيد ومصرحة فى البند ١٣٣٨ وما بعده من بنود المجلد العاشر من القانون المدنى ومشروحة شرحاً واضحاً لا يدع أثراً للريب فى النفوس .

ومع ذلك فإنى أقول لقد حان لحكومتنا أن توجه التفاتها إلى الصعوبات التى تنجم عن إستعمال تلك الشريعة التى لا يبررها بند القانون القائل باستعمالها بالنظر لعدم مطابقتها للعقل .

لقد ظهر من آخر إحصاء أن نسبة عدد المسلمين ١١ فى المائة من جميع الأهالى الروس[١٤١] منهم ثلاثة فى المائة من مسلمى أوروبا بروسية أوروبا والباقون فى أملاك روسيا فى آسيا ثم أنه فى بعض ولايات روسيا يكثر عدد المسلمين حتى أنه يبلغ عدد نصف الأهالى كولاية أوفا وفى بعضها يقل عددهم كثيراً .

ففى قضايا ميراث ومخاصمات المسلمين تسير المحاكم الروسية حسب نصوص الشريعة المحمدية وذلك مما يدعونا إلى إنعام النظر فى هذا الأمر .

---

(١٤٠) نشرت بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٢ نقلا عن جريدة نوفويه فريميا الروسية لسان حال وزارة الخارجية الروسية بقلم المعرب .

(١٤١) هذا على حسب إحصاء أجرى عام ١٩٠٠ ولكن هذا العدد تزايد جداً الآن .

إن المسلمين القاطنين فى روسية أوروبا يخضعون ديناً لرئيسين روحيين عظيمين أحدهما يقيم فى ولاية القرم والثانى فى ولاية أورنبرج وأما مسلمو القفقاس فينقسمون إلى قسمين سنية وشيعية يقيم رئيساهما في مدينة تفليس عاصمة تلك البلاد ورؤساء الدين هؤلاء يقضون فى مصالح المسلمين من زواجهم وأحكام دينهم وإرثهم وإنما فى قضايا الإرث يكونون كوسطاء للتراضى والصلح بين الورثة وإذا لم يستطيعوا ذلك فالورثة يترافعون أمام المحاكم الروسية التى تحكم لهم حسب نصوص الشريعة الإسلامية كما قدمنا ، وإذا أجلنا الطرف فى هذا النظام المطابق لنصوص المجلد العاشر بخصوص إرث المسلمين فلا يبقى فى نفوسنا ريب أن هؤلاء يترافعون فى مسائلهم الدينية لدى أئمتهم الذين يؤلفون محكمة لا يقبل حكمها النقض والإبرام وأما في القضايا العامة وعلي الأخص قضايا الإرث فإنهم يترافعون أمام المحاكم الروسية التي تقضي لهم أيضاً حسب نصوص شريعتهم المرعية الإجراء والموضوعة بين بنود قوانيننا الخاصة بالمسلمين وعليها ذيول شتي بخصوص إرث المسلمات لأزواجهن وهنا نورد نص الفقرة من قانوننا الذى يصرح بذلك في قوله « فى قضايا إرث المسلمين وكذلك فى جميع قضاياهم العامة ينبغي على القضاة الروس أن يسيروا طبقاً لنصوص الشريعة الإسلامية » ولا أدرى لماذا تفضل حكومتنا المسلمين على اليهود من رعاياها مع أن تلمودهم يتضمن شرائع مختلفة ونواميس متعددة لجميع ظروف وأحوال اليهود المدنية والدينية وإذا فرضنا بأن ذلك التفضيل ناجم عن حصول المسلمين عندنا على حقوق وإمتيازات أكثر من اليهود وأن شرائع التلمود غير وافية أو تامة كالشريعة المحمدية فإنه كان يمكننا الوقوف عند هذا الحد من الكلام ونرضى بسير الأحكام التي ذكرناها على محورها ومجراها غير أن محاكمنا لحد الآن لم تتمكن من السير على قاعدة معلومة محدودة لكى تقوم بما عهد إليها من الواجب الملقى على عاتقها ذلك لأن قوانين الشريعة الإسلامية غير مرتبة الوضع ومن جهة أخرى فأنه لا توجد في بنود نظاماتنا صراحة ترشد القضاة إلى طريقة معلومة ليسيروا بموجبها وتلك النظامات الإسلامية المعروفة بالشريعة تؤلف مجموعة أجوبة مختلفة الأسئلة متعددة بخصوص الحقوق والأحكام قد وضعها ألوف من المتشرعين المسلمين وكلهم

من رجال الدين الذين وضعوها باللغة العربية طبقا لأحكام القرآن ونصوصه ، وقد اجتمع من هذه القواعد والأجوبة منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا عدد لا يحصيه حاسب وقد اجتهد علماء العرب فى جمع شتات قواعد تلك الشرائع فى مجموعات خاصة بقصد نشرها وتسهيل وجودها والرجوع إليها عند مسيس الحاجة وترجم أكثر هذه الكتب إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية وإنما لم يترجم منها إلى اللغة الروسية سوى الكتب الآتية :

أولاً : مجموعة عقائد شيعيين وشرائعهم ترجمة الأستاذ ميرزا قاسم بك فى عامى ١٨٦٢ و١٨٦٣ .

ثانياً : كتاب شريعة السنيين ترجمة غورد يكولى عام ١٨٩٣ تحت اسم الهداية .

ثالثا : نظام إرث المسلمين ترجمة العالم موخين عام ١٨٩٨ . وهذه الكتب الثلاثة نافعة جداً لدرس الشريعة الإسلامية .

ثم أنه كما أشرنا آنفاً بأن بنود المجلد العاشر من النظام المدنى الروسى لا تصرح للمحاكم الروسية صراحة تامة بالاستناد على نظام إسلامى معروف أو مترجم للغة الروسية ولذلك كان القضاة فى أكثر القضايا يقعون فى أشد الارتباك ولا يجدون لهم مخرجا من تلك الحالة الحرجة سوى الكتابة إلى أئمة المسلمين يسألونهم حل مشكل تلك القضية فيجاوبونهم عليها كتابة بذكر فقرة الشريعة الموافقة لحل تلك القضية حلاً صحيحاً عادلاً حتى يبنوا حكمهم عليها ولكن شوهد كثيراً بأن تلك الفقرات المرسلة من رجال مختلفين لحل قضية واحدة تناقض الواحدة الأخرى وعدا ذلك فإن نظام الإرث واسع جداً وهو أعقد فصول الشريعة ولذا جعل علماً مستقلاً لا يدركه إلا بعض أئمة المسلمين الذين يسمون القسام والقضاة الروسيون يصعب عليهم درس الشريعة الإسلامية لجهلهم اللغة العربية الموضوعة بها .

ثم أنه لا يتسنى لأحد المحاكم أن تصدر حكما بإرث ولم يرضخ له المترافعون الورثة ورفعوه إلى محكمة أعلى فربما نقضت هذه المحكمة بعض الحكم الإبتدائى استنادا على فتاوى أئمة المسلمين الموجودين بالقرب منها وبذلك تخالف

الحكم الأول الذى أصدرته المحكمة الإبتدائية طبقا لفتاوى أئمة المسلمين الذين أفتوا لها بتلك الفتوى وكانت فتواهم مخالفة لفتوى الآخرين وكثيرا ما تتصل تلك القضايا إلى مجلس الشيوخ الذى لا يجد أيضاً إلى حلها سبيلاً سوى الإستناد على فتاوى الأئمة وبالاختصار فإن قضايا إرث المسلمين وغيرها بسبب عدم معرفة قضاتنا الشريعة الإسلامية وأنى لهم ذلك ؟

ثم استطرد الكاتب كلامه فقال : ولقد طالعت مقالة فى مجلة وزارة الأديان بهذا الشأن ذيلها كاتبها بعدة آراء إذا سارت عليها حكومتنا تخلصت من تلك الحالة الحرجة ولإتمام الفائدة أذكر تلك الآراء .

أولاً : ينبغى أن يضاف إلى نموذج مدارس القضاة الحقوقية درس الشريعة الإسلامية حسب الطريقتين السنية والشيعية وعلم الإرث .

ثانياً : ينبغى على وزارة الأديان أن تنتخب عدة علماء أفاضل لهم معرفة تامة وخبرة زائدة بالشريعة الإسلامية وتعهد إليهم ترجمة تلك الشريعة إلى اللغة الروسية ليسير بموجبها القضاة .

ثالثاً : ينبغى أن تضاف إلى بنود النظام المدنى بنود جديدة يبين فيها كيفية إستعمال الشريعة الإسلامية والطريقة التى ينبغى على القضاة أن يسيروا عليها فى تطبيق فتاوى الأئمة على نصوص الشريعة وإيجاد الفقرات الموافقة من الشريعة للفصل فى منازعات المتخاصمين بكيفية عادلة غير مجحفة بحقوق أحد .

رابعاً : ينبغى على محاكمنا أن تسير أيضاً على نظـام محاكم تركستان الأهلية .

خامساً : ينبغى على حكومتنا بأن تنتخب من المسلمين أئمة ذوى أهلية وكفاءة تعينهم معاونين للقضاة الروس فى حل مسائل الإرث والحكم فى بعض القضايا وتسن لهم نظاما يسيرون عليه وترتب لهم رواتب شهرية .

ثم ختم الكاتب مقالته بقوله ولنا وطيد الأمل بأن حكومتنا تعير التفاتها إلى هذه المسألة الخطيرة التى لا يحسن السكوت عليها .

وفعلا لبت الحكومة الروسية نداء هذا الكاتب الحر المعتدل ونداء غيره من الكتاب الروسيين المنصفين وعهدت إلى لجنة من الكتاب المسلمين الروسيين والمستشرقين تعريب الشريعة الإسلامية ليسير بموجب نصوصها القضاة الروسيون فى القضايا الخاصة بالمسلمين .

القرآن الكريم
وعناية مسلمي الروس باستظهاره

ومما يحسن نشره ويطيب ذكره أن للمسلمين الروسيين عناية خاصة لا توجد لدى غيرهم وهي حفظ القرآن الكريم ولاسيما تحفيظه للفتيات وإتماما للفائدة أنشر مقالة بهذا الصدد كنت نشرتها فى العدد ٣٧٢٥ من جريدة المؤيد الغراء الصادرة فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٢ عربتها عن جريدة ترجمان الروسية الإسلامية وهاهى :

جرى فى التاسع من شهر يوليو الماضي امتحان مدرسة البنات التى تحت إدارة حضرة الفاضلة بمبة خانم بولاتوقوف وقد حضر الامتحان ماينيف عن مائة سيدة من والدات الطالبات وقريباتهن فكان عدد المنتهيات اللواتى نلن الشهادة الإبتدائية باللغة العربية والروسية والدين والحساب وغير ذلك من العلوم عشر فتيات وقد أجادت تلميذات المدرسة الأجوبة وشنفن أسماع الحاضرات بتلاوة بعض سور القرآن الشريف .

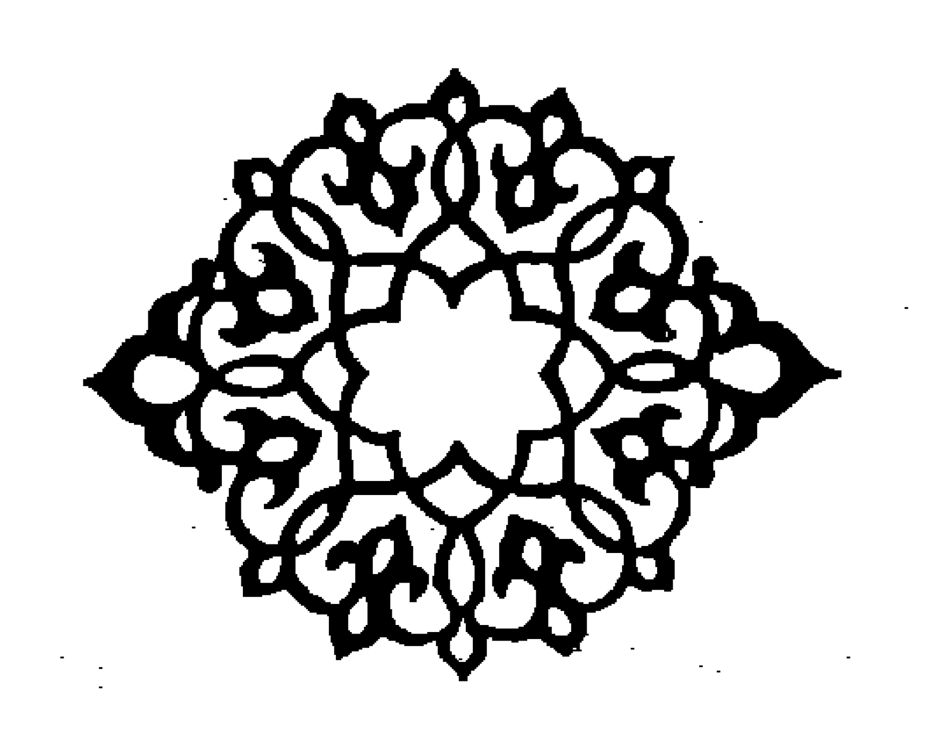
وفى الحادى عشر من الشهر المذكور جرى فى مسجد المدينة إمتحان إحدى طالبات هذه المدرسة البالغة من العمر تسع سنوات فى حفظ القرآن واستظهاره أمام جمهور غفير من الوجهاء والأعيان وقد فازت تلك الفتاة فى الامتحان فوزا مبيناً ، وتلت القرآن جميعه فى ساعات متوالية فلقبت بالحافظة ، وحسب العادة الجارية عندهم ألبسها الإمامة عمامة خضراء صغيرة وعلى أثر الإمتحان أولم والد الفتاة السيد حسين النحاس وليمة فاخرة لجميع الحاضرين .

ثم قالت الجريدة عن حفظ القرآن ما مؤداه : أن استظهار القرآن وحفظه عادة قديمة عند المسلمين ولا تخلو الآن عندنا مدينة أو قرية من حافظين وحافظات للقرآن الكريم ، وهذه العادة كانت لها أهمية عظمى فى صدر الإسلام لحفظ القرآن سالما من التغيير والتحريف لعدم انتشار المطابع فى ذلك الوقت ونسخه الخطية كانت قليلة جداً ، ولذا كان يحفظه الحافظون جيلا عن جيل

فلما شاعت المطابع طبع منه ملايين من النسخ .

ومن ذلك أيضاً أن حضرة الفاضلة صفية علية خانم عقيلة سليم أفندى جانتورين تحصلت من وزارة المعارف على رخصة لإنشاء مكتب ، وبعد أن فازت بضالتها المنشودة شادت من جيبها الخاص داراً فسيحة للمدرسة لتعليم الأولاد فيها اللغتين العربية والروسية وصناعة الأحذية والحدادة وقد استحقت هذه الفاضلة الشكر .

وقد أخذت بعد ذلك النهضة بين مسلمى روسيا تسير سيراً مطرداً وظهر بينهم من نوابغ الكتاب والمؤلفين الذين تلقوا العلوم فى مدارس روسيا وأوروبا العالية وأخذوا قسطا وافراً من مدنية الغرب مثل صدر الدين أفندى مقصودوف أحد النواب المسلمين فى مجلس الدوما الذى خطب من عهد قريب خطبة فى مجلس الدوما كان لها دوى هائل فى جميع أنحاء روسيا أنحى فيها باللائمة على بعض الموظفين الروسيين الذين يضطهدون فى بعض الجهات المسلمين ويصادرون مدارسهم ، ولكنى لدى إمعان النظر فى خطبته ألفيته يبالغ فى سرد الحوادث وكأنى به كان يبالغ تلك المبالغة ليجعل لخطبته تأثيراً فى النفوس ويحرك الحكومة على الاقتصاص من الموظفين الذين يخالفون القوانين ويعتدون على الرعية بدون حق والذى أعلمه بنفسى وسمعته من أفواه الكثيرين من كبار مسلمى روسيا وسراة القوم أن المسلمين فى روسيا يرفلون بحلل الصفاء ويرتعون فى رياض الهناء .



الإسـلام وأوروبـا

ومن نوابغ الكتاب المسلمين فى روسيا الكاتب الشهير أحمد بك أجايف المقيم الآن فى الآستانة العلية يحرر بجرائدها وقد رأيت لحضرته فى بعض مؤلفاته مقدمة دافع بها عن الدين الإسلامى وذكر الأسباب التى حملت الأوروبيين على الطعن على ذلك الدين لسبب جهلهم معتقداته وقد رأيت أن أنقلها عنه بالحرف الواحد .

قال الكاتب يذكر الترهات والاختلاقات التى كان ينسبها الأوروبيون للدين الإسلامى كما يأتى : أن سواد الأوروبيين الأعظم الذى يسلم بداهة بالأمور دون بحث بأسبابها ونتائجها وذلك بالنظر لإستيلاء العقائد الفاسدة على عقولهم ورسوخها فى أذهانهم سواء كان فى أوروبا أو روسيا فإنهم يعتقدون إعتقاداً متيناً بأن الذنب على الإسلام فى جميع ما يجرى فى البلاد الإسلامية ولولا وجوده لكانت الحال هناك على غير ما هى عليه الآن ، المعتقدون بهذا الإعتقاد يرون أن المسلمين ماداموا مسلمين لا يستطيعون الإقبال على المدنية الأدبية العمومية ثم انهم أى الغربيين يزعمون أن الشر جميعه متمثل فى الإسلام ويتصورون أن أعظم وسيلة تنقذهم منه هى ملاشاة نفس الدين ومحقه من وجه الأرض وهذه الأفكار رسخت فى العقول منذ أجيال عديدة سالفة من جراء الخصام والشقاق والنزاع العنيف بين الغرب والشرق وذلك فى خلال قرون مديدة بسبب إختلاف الإسلام والمسيحية الأمر الذى يظهر للرجل الساذج الذى لم يعتد التبصر والتفكر والتروى بأن هاتين الديانتين على طرفى نقيض فى الجواهر والمعتقدات ولا يمكن التوفيق بينهما وأخيراً أن هذا الاعتقاد ساد مدة طويلة بين أهل الغرب يدلنا على ذلك دلالة واضحة الآداب البزنطية واللاطينية المضادة للإسلام ، ومن أراد زيادة إيضاح عليه أن يقف على مؤلفات ومخلفات العصور الوسطى لاسيما الفترة التى حدثت فيها الحروب الصليبية .

والإنسان يتأثر تأثيراً شديداً تهتز له أعصابه لدى مطالعته تلك الترهات

والمثالب والمطاعن التى كان يتناشدها مغنوا وشعراء الرومان الساذجون وينادى بها النُساك ورجال الدين فى المعابد والمجتمعات العامة والبرارى يصفون فيها شخص وتعليم سائق الجمال الذى أطلقوا عليه اسم « النبى العربى الكاذب »(١٤٢) ومن الأمور المضحكة المبكية نظر أهل الأجيال الوسطى إلى الإسلام وإعتقادهم به فكان الشعب يصدق بداهة كل إفتراء على الإسلام وأتباعه وقد بالغوا فى استنباط المفتريات والسفاسف لدرجة لا يجوز تصديقها لما فيها من الغرابة المنكرة وقد أدى بهم الجهل إلى تصوير محمد بهيئة شيطان ذى قرنين وأطلقوا عليه اسم (ضد المسيح) الراسخ فى أذهان القوم بأنه يفسد الناس ويخرجهم عن دينهم ولذلك لابد أن يزج فى سعير النار حيث لا يقر له فيها قرار ، ثم أن تيورين الكاذب المفترى ألف رواية وصور فيها محمداً بهيئة الصنم ماهوم الذى كانوا يعبدونه فى قادس ولم يجسر كارلوس الأعظم على تحطيمه وتكسيره خوفا من الأبالسة المختفية فى جوفه .

ومما مر يتضح للقارىء أن العقول النيرة كانت منغمسة بمثل هذه الإعتقادات الفاسدة والمفتريات الباطلة البعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الماء وقد أجمعوا عليها كلهم حتى أنه لو قام بينهم فى مثل ذلك الوقت رجل كشف الله له عن نور الحقيقة وجاهر بها لكنت ترى الناس يصبون عليه صواعق سخطهم ونقمتهم فقد كادوا يحرقون دانتى فى النار لأنه عد محمداً فى (روايته الإلهية) بين الرجال العقلاء المصلحين ذوى المدارك السامية ، فاضطر لكى ينجو من سخط الشعب الذى تهدده بالقتل أن يضعه فى عداد الرجال الأشرار الذين عاثوا فى البلاد فساداً وبثوا بذور الشقاق والنفاق والخصام بين معاصريهم مثل (فرادالتشينو) و(برتران دى بورن) وغيرهما اللذين هما فى عرف الشعب من سكان جهنم ، ثم أن المصور الإيطالى الشهير أركانيوس وضع عدة رسوم للأشخاص الذين يحتقرون جميع الديانات على الإطلاق واتخذوها لمجرد الهزؤ والسخرية فصورهم واقفين فى جهنم ولهيب النار يكنفهم من جميع

---

(١٤٢) أنظر تأريخ الآداب الفرنسية والآداب البيزنطية ضد الإسلام تأليف جمعية المبشرين فى قازان .

الجهات وفى مقدمتهم محمد وافير روئيس (الوليد بن رشد) والمسيح الدجال أو ضد المسيح .

وبوجه الإجمال فإن الأجيال الوسطى كما قال أرنست رنان قد اشتهر أهلها بالحدة وعدم التروى ولم يكن عندهم درجة متوسطة لأمر من الأمور فكان محمد فى عرفهم خداعاً ماكراً متخذاً مهنة سرقة الجمال وقالوا عنه بأنه كاردينال سعى للحصول على وظيفة البابوية فلم يفز بها فوضع ديانة جديدة لكى ينتقم من زملائه الكرادلة وما ضارع ذلك من الأوصاف المجردة عن الإنصاف ولا تنطبق على الفعل السليم . تمر الأجيال ونقضى السنون ولا تزال سفاسف الناس وترهاتهم وأفكارهم السخيفة الواهية تضغط على العقول النيرة كما كانت فى العصور المظلمة ان بيبليا ندر وهو تينبجر وما راجى وغيرهم أخذوا يدرسون القرآن درساً مدققاً على قصد تقويض أركانه ، وأما لبنس ، وشكسبير فإنهما تكلما كثيراً على نبى المسلمين بقصد إضحاك الجمهور وتسليتهم ، وأما فولتير فإنه التمس للغفران من البابا بواسطة تقديمه له رسالة الطعن المشهور التى عنوانها (محمد) وقد نسب بها إلى النبى محمد أموراً منكرة لم تخطر بباله ومنافية على خط مستقيم لروح تعاليمه ومبادئه .

ثم أن الجيل التاسع عشر المسمى بحق جيل العلم والانتقاد الصحيح لم يخل من مثل هذه المختلقات والمفاسد التى جاهر بها بعض قادة الأفكار وأصحاب العقول الممتازة فقد وضع العالم الإنجليزى الشهير كارلوس فورستير عام ١٨٢٩ مجلدين ضخمين وقعا موقع الاستحسان والإحترام فى نفوس رجال الدين لأنه برهن فيهما بالأدلة الكثيرة على أن محمداً هو قرن الكبش الصغير الوارد ذكره فى الاصحاح الثامن من نبوة دانيال وان قرن الكبش هو البابا[١٤٤].

ولكن النصف الثانى من الجيل التاسع عشر الذى أشرقت فيه أشعة العلم

---

(١٤٤) انظر تاريخ الأديان لاينست رنان وكذلك رواية محمد لمؤلفها : ف . ميشيل .

(١٤٥) كشف النقاب عن الدين الإسلامى هو بحث فى انتشار الدين وبقائه على طريقة تؤدى إلى زيادة الاعتقاد فى الدين المسيحى .

وأماطت النقاب عن الشرق وتاريخه وحياته وذلك أنه عندما ازدادت المواصلات بين الشرق والغرب بواسطة انتشار السكك الحديدية وإزداد توافد الغربيين إلى الشرق حيث دعتهم المصالح التجارية والصناعية والسياسية إلى الضرب فى طول البلاد وعرضها فعاد العلم وحب الاستقراء علماءهم وأصحاب الأفكار الفياحنة منهم إلى درس أخلاق وعادات أهل الشرق المتدينين بغير دينهم ودرس أحوال البلاد فى نفس البلاد ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى مطابقة الحاضر بالغابر مطابقة مبنية على العلم والتحقيق والكتابات الماجنة وأبدوا فى خلال ذلك ملاحظاتهم على الادوار العديدة التى تقلبت فيها الأديان منذ ظهورها وما تحملته من الانقلاب والتغير ولم يميلوا فى عملهم هذا ودروسهم مع الأهواء بل دونوا الحقيقة مجردة من كل عَرض فاسد ، وميل منحرف وهذا يناقض حالة العلماء فى الأجيال الماجنة الذين تغشى التعصب الدينى أبصارهم وأسدل حجابا كثيفاً على أفكارهم فأعماهم عن المجاهرة بالحقيقة وقادهم إلى الابتعاد عن جادة الحق والانصاف ، وقد تبعهم فى ذلك سواد الناس الأعظم الذين لزعمهم بأنهم حاملو لواء الحق فإنهم لا يستطيعون إحتمال معتقدات غيرهم من الناس والوقوف حيالها موقف السكينة والرضى بل يسفهونها ويذهبون فى انتقادها كل مذهب .

أما فى أيامنا الحاضرة التى أصبحت فيها الأديان عادة للمباحث العقلية فقط لأنها فقدت مادة التعلق بها ذلك التعلق الدينى الشديد ولا يهتم بها الناس الآن إلا لأنها من مظاهرات نفس الإنسان ولم يعد الناس يتحاورون بشأنها ولا يوجه كل صاحب دين إلى الأديان الأخرى أنواع السباب والمطاعن والتهكم وأصبح عمل المستشرق الذى يهتم بأمور الأديان والوقوف على تاريخ الشرق يخرج من تحت يراعه كتحليل كيماوى الذى يخرج من معمله وتراه أى المستشرق يتهم بجميع العوارض والمظاهر .

اهتماما واحداً دون أن يفضل أمراً منها على الآخر وإنما ينشرح صدره وتطيب نفسه لدى اطلاعه ووقوفه على مبتكرات فكر الإنسان فى كل آن وزمان وإظهار قواه الفياضة ، ولذلك فلا عجب إذا شاهدنا فى هذا العصر الإنقلاب

العظيم الشأن الذى أحدثه درس أحوال الشرق فإنه غير نظر العلماء السابق بشأن الأديان المختلفة وشؤون الشرق على العموم ولاسيما بشأن النبى محمد وتعاليمه فأصبح محمد فى عرفهم ونظرهم ليس صورة للصنم ماهوم ولا هو ضد المسيح المقيد فى جهنم ولا قرن الكبش الصغير الوارد ذكره فى نبوة دانيال بل هو ذلك المصلح العظيم الذى هز العالم بتعاليمه ومبادئه وأفكاره السامية وأنه وضع أساس تعليمه ليس لأنه كان كاردينالا و لم يفز بوظيفة البابوية بل لأن فؤاده كان يلتهب غيرة على الحق الذى شوهت وجهه الشكوك والاختلافات التى دخلت عليه ذلك الحق الذى نادى به فى العالم ذلك « النبى العظيم » قبل ظهوره بستة قرون و لم يدرك جوهره تلاميذه النشيطون الغيورون بل ذهبوا فى تأويله كل مذهب عندما علموا الناس به ولاسيما فى البلاد العربية وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك بأجلى بيان وتأملوا فقط ذلك الشكران الجميل الذى جاهر به نبى المسلمين بشأن الصابئين الذين ظنوا لأول وهلة أنه ينادى بتعليم المسيح .

ثم إن آيات القرآن النازلة بشأن آلام عيسى وولادته وذكر مريم والدة روح الله فإنك ترى التأثر ظاهراً من كل كلمة منها مقروناً ذلك بمزيد التعظيم والاحترام وفوق هذا وذاك فإن المسلمين يعظمون مريم أكثر من بعض الطوائف النصرانية فهى فى عرف المسلمين عذراء طاهرة صالحة قد اصطفاها وشرفها رب العالمين والنبى يظهر لها احتراماً دينياً يفوق الوصف حتى أنه عندما أراد أن يمتدح ابنته فاطمة قال « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران » ثم أن النبى أدرك تعليم عيسى كما هو وجاءت الديانة المحمدية مطابقة لها ونفت جميع المعتقدات الباطلة التى دخلت عليها وشوهت جوهرها وورد فى أمكنة كثيرة من القرآن ما مؤداه وانى جئت لاثبات تعليم عيسى الحقيقى(١٤٣).

قال المستشرق الإنجليزى الشهير « ماكس موللر » سوف يعلم المسيحيون بدهش عظيم أن محمداً أحد معضدى يسوع وأن الديانة المحمدية ما هى إلا شيعة من شيع الديانة النصرانية وإذ ذاك يندهش المسلمون والمسيحيون معا

---

(١٤٣) راجع ترجمة القرآن لسابلوجوف .

بسبب ما جاء فى تاريخهما من الخصام والشقاق والعداء بسبب الدين[١٤٤] وقد وافق كثير من علماء أوروبا المستشرقين على رأى هذا العالم وعضدهم فى ذلك أيضا كثير من الروسيين العقلاء ذوى الأفكار السامية مثل فلاديمير سولوفييف وبيترون .

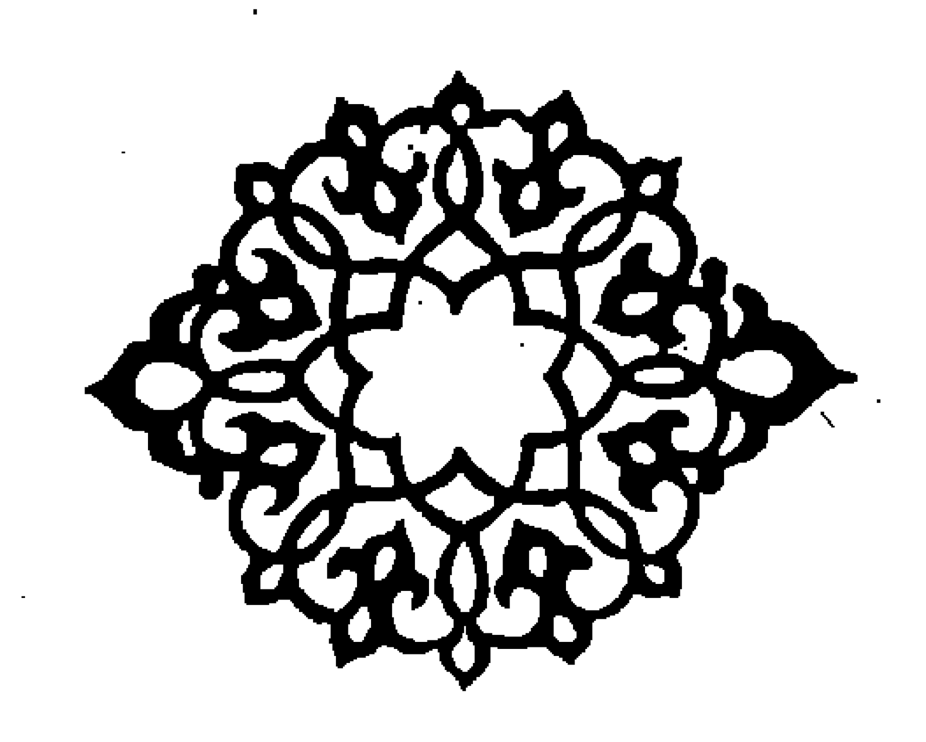
والعالمة المشهورة مدام ليبيديف التى تقيم معظم السنة فى القاهرة ويعرفها كثيرون من أفاضل ونبلاء وعلماء المصريين فإنها وضعت عدة كتب بلغات مختلفة دافعت بها عن الدين الإسلامى دفاعاً شديداً وأظهرت فضله ولحضرتها مؤلفات كثيرة بشأن المرأة حرية بالمطالعة والاعتبار .

ولكن مع الأسف نقول أن سواد الناس الأعظم لم يزل على غيه تائها فى فيافى الضلال ولا يجنح إلى الحقيقة الثابتة التى أيدها علماؤه وقادة الأفكار منهم بل مازال رازحا تحت نير إعتقادات وخرافات القرون الوسطى بشأن محمد وتعليمه ناسيا ضعف الأمم الإسلامية فى عصرنا الحاضر وانحطاطهم السياسى والأدبى والإختلاف العام فيما بينهم إلى الإسلام وجاهلا بأن كل إنسان فى هذه الحياة لا يستطيع أن يلعب على الدوام دور النجاح والتقدم وأن الديانة ماهى إلا شىء مستقل مجرد عن كل قوة لا تستطيع تحسين حالة الحياة ثم أنه وأخيراً لابد من حصول الشقاق المتبادل الدائم بين المتدينين بالديانات المختلفة ولو كان ذلك بطريقة غير محسوسة لكنه دائم الحركة المشتركة بين المتخالفين فى المعتقدات . وكل ديانة كما لا يخفى تكون فى أول ظهورها محرك قوى تدب روح الحركة فى قلوب الذين يتبعونها وذلك على قدر ما يكون لها من التأثير الروحى والمادى فى نفوسهم ولكنها أى الديانة تتقلب مع مرور الزمان فى أدوار مختلفة بحسب حالة تابعيها من العلو والانحطاط فتعتز وتعلو بعلو شأنهم وتنحط بانحطاطهم ويدخل عليها فى الحالة الأخيرة الفساد وتشوه الاختلافات التى تدخل عليها وجه حقيقتها وتزعزع أساس جوهرها وهذا هو السبب الوحيد والبرهان الفرد على ظهور البدع والشيع المتعددة فى هيكل الديانة الواحدة وكذلك دخول الفساد على تعاليمها وتفاسيرها ولو قابلنا حالة الديانة المسيحية

---

(١٤٤) راجع كتاب محمد والمحمدية لماكس موللر .

بحالتها فى القرون الوسطى وفى أيام الإصلاح وأيامنا الحاضرة لظهرت لنا بأجلى بيان تلك الأدوار المختلفة التى كابدتها وما دخل عليها من التغيير والفساد والتفاسير المتناقضة المتباينة مع إنها ديانة مبنية على أساس متين واضح ومثل ذاك جرى للديانة الإسلامية بقطع النظر عما دخل عليها من البدع والتفاسير التى تطابق حقيقة جوهرها وليست منها فى شىء اهـ .



جاء فى ختام هذا الكتاب

يقول جامع هذه الرسالة سليم قبعين : إننى فى بدء الشروع فى تعريب الرسالة التى وضعها الفيلسوف تولستوى تحت عنوان « حكم النبى محمد » لم يخطر ببالى ما سأعانيه من المشاق والاتعاب وسهر الليالى لإرجاع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى أصلها العربى ولا يخفى ما فى آيات القرآن من البلاغة وما فى الأحاديث من الإيجاز ولا يمكن تأدية معناها باللغات الأجنبية بنقلها حرفيا وليتصور القارىء الصعوبة فى رد تلك الآيات والأحاديث التى لا يوجد فى الأصل الروسى أقل إشارة إلى السورة المأخوذة منها أو الكتاب المنقول عنه الحديث .

ولكننى لدى تصورى ما سيصادفه عملى هذا من الاستحسان لم أعبأ بالعقبات والمصاعب بل أجهدت النفس فى التنقيب والبحث والاستعانة ببعض رواة الأحاديث من أهل العلم حتى زللت أخيرا كل عقبة وأبرزت الكتاب إلى حيز الظهور وها أنى أزفه تحفة نفيسة إلى قراء العربية ولى أمل وطيد بأنه سيصادف إستحسانهم فإن كان ذلك فهذا ما أملت .

ولابد لى من الإشارة إلى أنى راعيت الترجمة فى الأقوال الأخرى مراعاة حرفية فلم أترك حرفا ولم أغير معنى ولا أصلحت تاريخا حتى جاء كتابى صورة طبق الأصل الروسى .

فإن كان فيه خطأ تاريخى أو عبارة مخالفة للصواب فالخطأ فى ذلك عائد على المؤلف لا على الناقل .

وكان الفراغ من طبعه فى يوم الإثنين الموافق ١٥ يوليو سنة ١٩١٢ فى مدينة القاهرة .

والحمــد لله أولا وآخــرا

سليم قبعين

لم يخرّج المترجم أى حديث مطلقا



مراجع هذا الكتاب

والتى اعتمدت عليها بالأخص فى تخريج الأحاديث

١ -القرآن الكريم

٢ -صحيح البخارى

٣ -صحيح مسلم ط دار الحديث

٤ -جامع الترمذى ط مصطفى البابى الحلبى

٥ -سنن ابن ماجه تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ط عيسى الحلبى مصر

٦ -المسند للإمام أحمد وبهامشه كنز العمال

٧ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال افندى ط مكتبة التراث الإسلامى حلب

٨ -سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ط السعودية

٩ -كشف الخفاء للعجلونى ط القاهرة

١٠ -سنن الدارمى للدارمى ط دار إحياء السنة

١١ -شرح السنة للبغوى ط المكتب الإسلامى

١٢ -العلل المتناهية لابن الجوزى ط دار الكتب العلمية بيروت

١٣ -تنزيه الشريعة للكنانى

١٤ اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى ط المكتبة التجارية مصر

١٥ -تذكرة الموضوعات للفتنى

١٦ -حلية الأولياء لأبى نعيم ط دار الكتاب العربى بيروت

١٧ -المقاصد الحسنة للسخاوى ط الخانجى

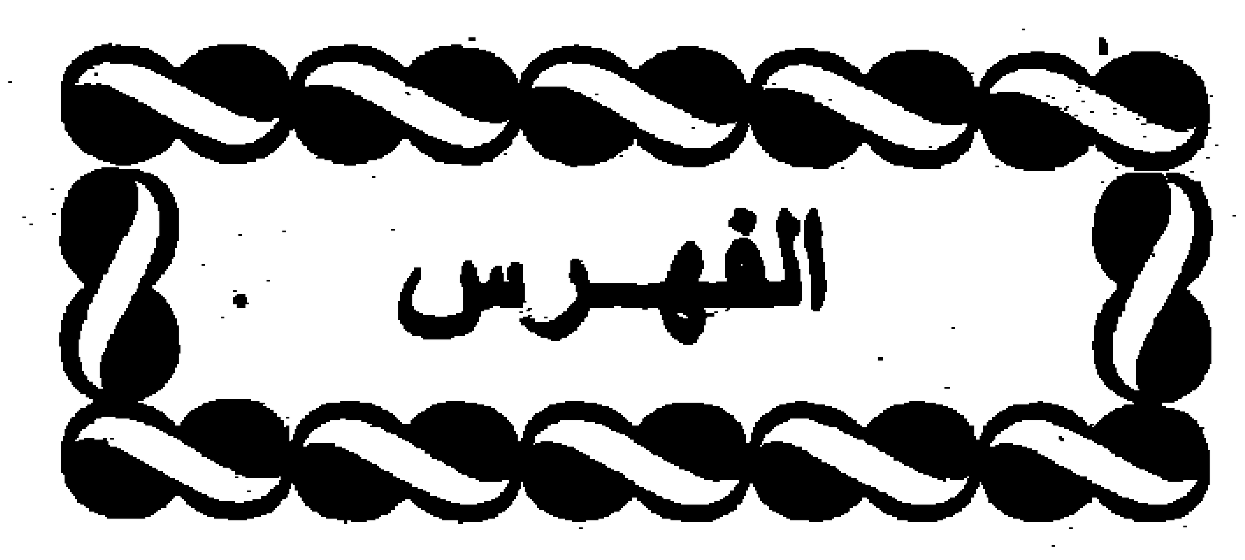
١٨ -فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ط دار إحياء التراث العربى بيروت – لبنان

١٩ -الأسماء والصفات للبيهقى

٢٠ -الإتحافات السنية

٢١ -الدُّر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ط دار المعرفة بيروت – لبنان

٢٢	-التاريخ الكبير	للبخارى	
٢٣	-نصب الراية	للزيلعى	ط المجلس العلمى توزيع المكتب الإسلامى
٢٤	-مصنف ابن أبى شيبة		ط الهند
٢٥	-عمل اليو والليلة	لابن السنى	ط مكتبة التراث الإسلامى القاهرة
٢٦	-الشكر	لابن أبى الدنيا	ط دار التراث الإسلامى
٢٧	-رياض الصالحين	للنووى	ط دار القادسية
٢٨	إتحاف السادة المتقين		
٢٩	-الكامل	لابن عدى	
٣٠	-البداية والنهاية	لابن كثير	
٣١	-تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى	
٣٢	-مختصر تاريخ دمشق	لابن عساكر	
٣٣	-خزانة الأدب	للبغدادى	ط الخانجى
٣٤	-تفسير القرطبى		ط دار الشعب
٣٥	-الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة		ط الدار العربية بيروت
٣٦	-موسوعة أطراف السنةللشيخ محمد السعيد زغلول بسيونى (٢٠ مجلدا) بمكتبة المصطفى صلى الله عليه وسلم لصاحبها العالم الجليل فضيلة الشيخ المهندس/ حامد إبراهيم أحمد أكثر الله من أمثاله .		مخطوطة
٣٧	-قوت القلوب	لأبى طالب مكى	ط دار صادر - بيروت - لبنان
٣٨	-مجالى الإسلام	تأليف حيدر بامات	ط عيسى البابى الحلبى



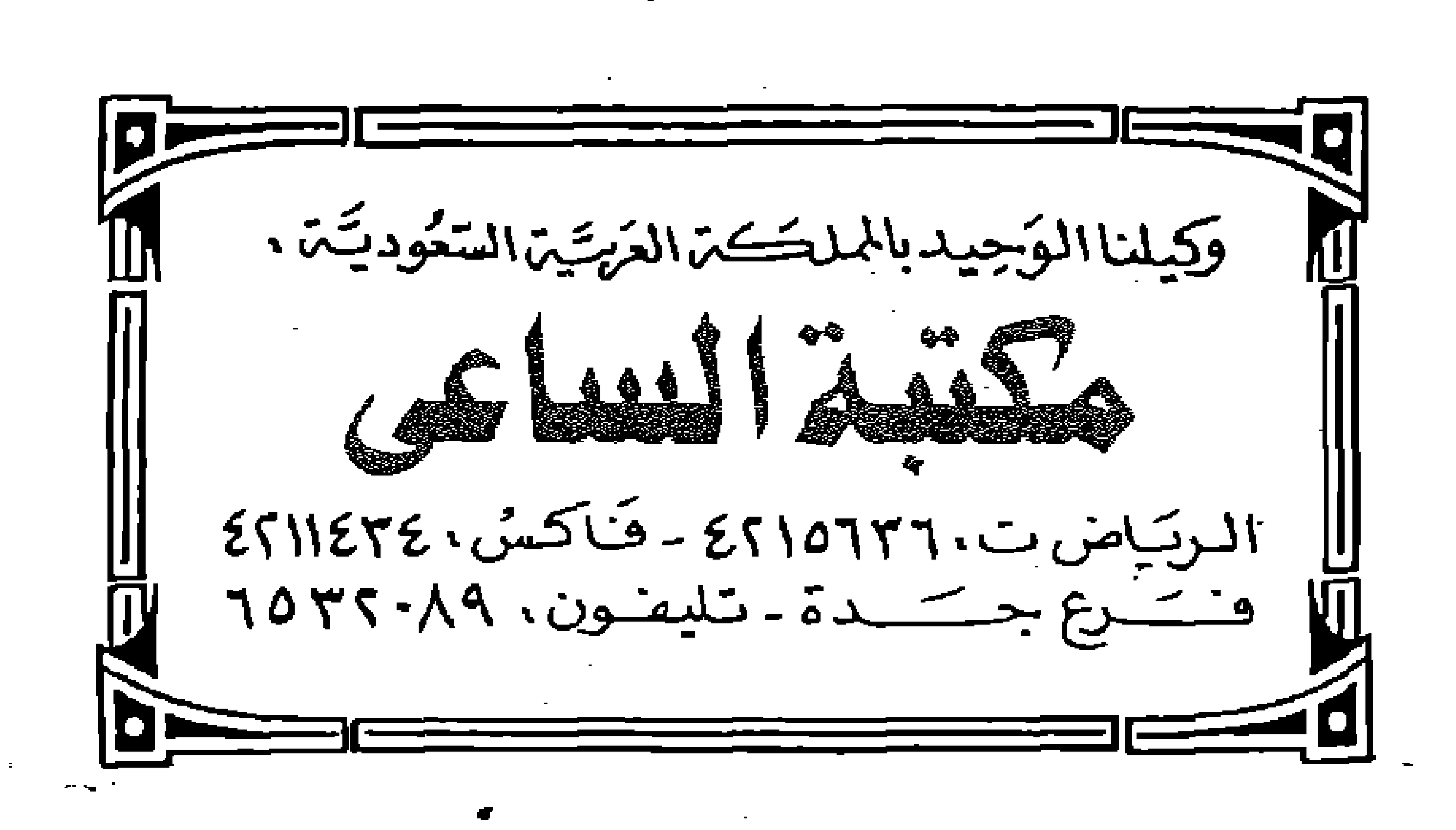
الفهرس

الموضوع	الصفحة

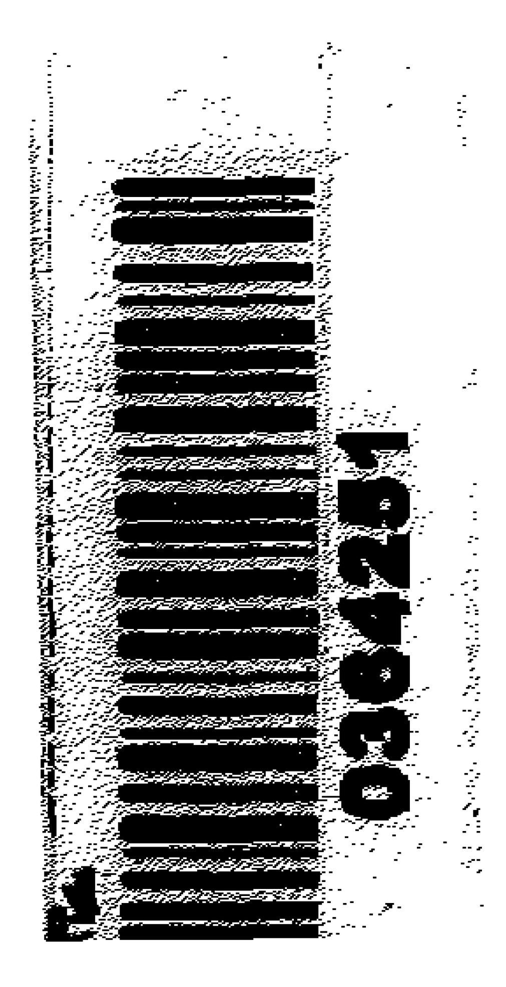
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٠/٨١٣٤
الترقيم الدولى ١ - ٢٤ - ٥١٢٠ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشأطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١





وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية :
مكتبة الساعى
الرياض ت: ٤٢١٥٦٣٦٠ - فاكس: ٤٢١١٤٣٤
فرع جدة - تليفون: ٦٥٣٢٠٨٩



03642251

٢٠٠ قرش